أثر بلاغة الوسائط العلائقية فى اتساق بنية الخطاب
(علاقة التوكيد فى سورة الفتح أنموذجاً) (*)

أ.د. هانم محمد حجازي الشامي

أستاذ النقد والبلاغة المساعد

كلية الآداب/ جامعة كفرالشيخ

الملخص

تمثل الوسائط العلائقية أساساً معرفيًّا فى محاولة التعرف على كيفية إنجاز الفعل من خلال المقامات التى دعت إلى ذلك؛ حيث تتأسس على دلالات مكوّنية لها حجم الموسوعة، وهى فى الوقت ذاته تراعى مبادىء وقواعد دلالة النص، إن هذه القواعد تعتمد على مبدأ فاعلية التلقى فى إطار يسيطر عليه توليد دلالات غير متناهية. هذه الألفاظ التى استوعبت تلك الدلالات تصبح –بحكم سياقاتها– مَعلماً له حضوره المكثف الذى يؤدى إلى بلاغة الملفوظ وقوته. هذا الفعل المنجز يبنى على عدة أمور؛ منها: بيان سبب اختيار تلك الخاصية الأسلوبية دون غيرها. إمكانية تلك الألفاظ لتمثيل المعنى المطلوب. ومن ثمّ تقييم الدور الموسوعى للتوكيد من خلال السياق النصى الذى يحدد العلاقات الدلالية، والقوة التى من أجلها لبست تلك الألفاظ مواقعها. إن تحليل هذه الألفاظ يستند إلى تضام الجمل، والكشف عن العلاقات التى تربطها، وتفسيرها تفسيراً مبعثه الوسائط اللغوية، والوسائط الخارجة عن نطاق اللغة؛ لتتحول بحكم التمثيل الموقعى إلى بنية خطابية منجزة.

● يدرس البحث التوكيد بوصفه وسيطةً علائقية سيمانطيقية لها دورها الرئيس فى ربط أجزاء الخطاب، ولها أيضا فعلها التداولى فى إيصال قصدية المتكلم، والتأثير فى المتلقى. ويوضح ذلك من خلال إظهار التعالق النصى فى سورة الفتح على ضوء تلك العلاقة المتنوعة، وعلاقتها بالمباحث البلاغية (سواء بالأدوات/الزيادة، أو مباحث الإطناب

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨١) العدد (٤) أبريل ٢٠٢١.

وتنويعاتها المختلفة، أو تغيير الترتيب بالتقديم والتأخير، أو أسلوب القصر) وارتباطها بالسياق الذى يُنجز من خلاله الخطاب، والبحث عن العوامل التى تجعل منه رسالة تواصلية ذات فعل إنجازى ناجح؛ ومن ثم وجب الكشف عن القوة المُضَمّنة فى المنطوق– التى استدعت تلك العلاقة– وفقًا لمطابقتها مقتضى الحال.

الكلمات المفتاحية: (الاتساق، الترابط، الربط، التوكيد، سيمانطيقا الخطاب)

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

The rhetorical effect of correlation mediators on the cohesion of discourse structure
(The relationship of assertion in Surat Al-Fath: a model)

Correlation mediators represent a knowledge basis in an attempt to identify how the utterance can be accomplished through the required contexts. It established on structural semantics that have the size of the encyclopedia, and at the same time, it take into account the principles and rules of the semantics of text, these rules depend on the principle of effective reception in a framework dominated by the generation of infinite semantics. These terms, which absorbed these semantics, become - by virtue of their contexts - a milestone with an extensive presence that leads to the eloquence and strength of the utterance. This accomplished utterance is based on several things including; the reason for choosing the specific stylistic feature that instructed the context to choose it. In addition, the ability of those words to represent the desired meaning. Then assessing the role of assertion through the textual context that determines the semantic relationships and the force that mastery those terms. The analysis of these terms is based on the solidarity of the sentences, linguistic mediators and mediators beyond language motivate the disclosure of the relationships that bind them and their interpretation; to be transformed by site representation into an accomplished rhetorical structure.

This research studies the assertion as a semantic correlation mediator that has a main role in connecting the parts of discourse; it also has its deliberative action in communicating the intention of the speaker, and

influencing the recipient. Moreover, this research clarify the textual relationship in Surat Al-Fath in light of that diverse assertion relationship and its relation to the rhetorical researches whether; (the assertion tools, the redundancy (circumlocution) and its various variants, words inversion with presentation and delay, or the style of briefness), its relationship to the context in which the discourse is accomplished, and then looking for factors that make it a successful accomplished communicative message. Hence, the semantics power of utterance - which necessitated that relationship - must be disclosed according to its conformity with the exigencies of the situation.

Keywords: Coherence, Interconnectedness, Connectivity, Assertion, Discourse

الإطار الذى يتبناه البحث:

– اتبع البحث المنهج التكاملى الذي يأخذ من مختلف المناهج التى تخدم البحث، لاسيما المنهج الإحصائى؛ لاعتماده على إحصاء ظاهرة التوكيد وتصنيفها فى سورة الفتح، ومدى تأثيرها على تشكيل الأسلوب، وترابطها أو ارتباطها بغيرها من الظواهر الأخرى. كما يعتمد على المنهج التحليلى الذى يكشف عن سر تلك العلاقة وأثرها الفاعل فى ترابط بنية الخطاب، كاشفاً عن أسرار العدول وتحولات البنية وخروجها على خلاف المعتاد؛ لتعديل قوة الملفوظ والكشف عن الوسائط التى أدت إلى ذلك. ولا يغفل البحث عن الاستعانة بالمنهج التداولى؛ إذ الفعل الكلامى تتحقق أسسه وضوابطه الإنجازية من خلال مراعاة قصدية المتكلم، والحالة التى يكون عليها المتقبل، ومحتوى الخطاب، والمقام الذى سيق فيه.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة للوقوف على أهمية التوكيد باعتباره علاقةً سيمانطيقية، وتداولية، وعلاقته بالمباحث البلاغية؛ ليتحقق– في هذا البحث – أن الوجه البلاغي في الخطاب ناتجٌ عن كثافة بلاغية جمالية، تتفاعل فيه مكونات معرفية إدراكية، ولغوية لسانية، وبلاغية نصانية. وأثر ذلك فى تحليل النص. ويظهر ذلك من خلال مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث؛ المبحث

الأول: التوكيد بالأداة وأثره فى اتساق التراكيب. ويتضمن ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: الأشكال التركيبية للتوكيد بالزيادة فى الجملة الخبرية. المطلب الثانى: الأشكال التركيبية للتوكيد بالزيادة فى الجملة الفعلية. المطلب الثالث: التوكيد بالأدوات المشتركة بين الاسمية والفعلية. المبحث الثانى: أثر التنويعات الأسلوبية للإطناب فى اتساق البنية النصية (علاقة التوكيد أنموذجاً)؛ ويتضمن ستة مطالب؛ المطلب الأول: أثر التوكيد بالتكرار فى التماسك النصى. ويتضمن نوعين؛ التوكيد بصريح التكرار؛ ويشتمل على نمطين؛ الإعادة باللفظ، والإعادة بالمرادف. والنوع الثانى: التوكيد غير الصريح. المطلب الثاني: فاعلية التذييل التوكيدى وتعالق البناء النصى. المطلب الثالث: الاعتراض التوكيدى ونظرية التأثير. المطلب الرابع: الاحتراس وتوجيه قصدية الخطاب. المطلب الخامس: التكميل وتنامى الأحداث. المطلب السادس: أثر فاعلية التتميم فى إثراء المعنى. المبحث الثالث: أسلوب القصر وتعالق الأحداث. المبحث الرابع: التقديم والتأخير ومظاهر انسجام الخطاب. ثم خاتمة توضح أهم النتائج التى توصل البحث إليها.

مقـــــــــــــــدمة:

إن مبررات البحث وجود بعض (القرائن الملفوظة/ القرائن العرضية Representative Speeh Act) التى تشكل أساساً معرفيًّا فى تعالق الجمل، وفى دراسة البعد التواصلى للظواهر الخطابية. هذه الظواهر تقوم على مبدأ القصدية فى الربط بين تلك (الظواهر/ القرائن)، ومراعاة منتج الخطاب، والغرض العام منه، فى إطار جامع للأبعاد التواصلية لتلك الظاهرة الأسلوبية. ومن هنا فإن مقاصدها ومعانيها ودلالاتها تمثل نظرية فى إنجاز الخطاب مرماها التأثير فى المتلقى، وبالتالى تتحول تلك الظواهر إلى وسيلة تعالقية ترابطية لاتساق بنية الخطاب، ووسيطة قصدية إنجازية للمتكلم، وإنجازية تأثيرية للمتلقى.

إن التعبير عن الفكرة هو نوع من التواصل، مرجعه وجود نشاط

لغوى مرسل من المتكلم، ونشاط مماثل من المتلقى؛ لذا يعمد الأول إلى الاستعانة بكل الإمكانات اللغوية التى تحقق قصديته منها. أما الطرف الثانى فالهدف الذى يسعى إليه هو فهم النص، ووسيلته فى ذلك النظر إلى العلاقات المنطوقة أو المكتوبة؛ ليصل إلى تحديد المبنى ومنه إلى المعنى المراد.

وقد أوجد النظام اللغوى عدداً من وسائل الترابط فى الجملة، بعضها يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة، وبعضها الآخر يعتمد على الفهم والإدراك الخفى للعلاقات. ولعل الوصل والفصل المعنى بمعرفة المواطن التى تقتضى العطف أو تركه من أقدم الاصطلاحات التى تنبه لها البلاغيون القدامى، وخاض فيها المحدثون فى مؤلفاتهم.

والربط ألفاظ دالة على معنى الاجتماع، وهو أصل يدل على "الشدّ والثبات"(١). والربط: الشىء الذى يربط به(٢). وربط بين الشيئين: وصّل ووحّد بينهما(٣). وهي وسائل لغوية تصل بين العناصر المكونة لجزء من سياق، أو سياق كامل، هذا السياق يسمى بنية داخلية رابطة. والرابطة هي الوصلة بين الشيئين(٤). وفي اللسانيات الحديثة يطلق الترابط على العلاقة الدلالية الخاصة بين الجمل، ويسمى:(سيمانطيقا الخطاب)(٥).

وتنشأ علاقة الارتباط بين معنيين بلا واسطة لفظية، لأنها علاقة وطيدة تشبه علاقة الشيء بنفسه، فلا يفتقر الملفوظ فى سبيل إظهارها إلى الربط اللفظى. والربط لا يتعلق بوجود الأدوات الرابطة. "فيجوز أن تكون الجمل مترابطة أو مستغنية عن الربط خارجاً عن الوجود الصريح لأدوات الربط، فقيود المقبولية راجعة إلى الدلالة السيمانطيقية. فالربط بين القضايا إنما يتحدد بنوع تجانس تعلق الأحداث(٦).

وتؤدي عملية الترابط إلى اتساق النص. والاتساق: "مجموع الإمكانات المتاحة فى اللغة؛ لجعل أجزاء النص متماسكًا بعضها مع بعض"(٧). وقد فسرها البلاغيون القدامى بـ (كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال)(٨). ومن أبرز من تناول هذه الظاهرة عبد القاهر الجرجاني؛ إذ

خصها بنظرية مستقلة؛ هى (نظرية النظم/ نظرية التعليق)، وهو ما يقرره بقوله: "فلا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلّقَ بعضُها ببعضٍ[٩]. ثم يقر ذلك: "كما كان من الأسماءِ ما يَصِلهُ معناهُ بالاسم قبلَه، فيستغني بصلة له عن واصلٍ يصلُه ورابطٍ يربِطُه،...، كالتأكيد الذي لا يَفتقِرُ إلى ما يصِلُه بالمؤكّد، كذلك يكونُ في الجملِ ما تتصلُ من ذاتِ نفسها بالتي قَبلها، وتَستغني بربطِ معناها لها عن حَرْفِ عطف يربُطها، وهي كلُّ جملة كانت مؤكّدةً للتي قبلها، ومبينّةً لها، وكانت إذا حُصِّلَتْ لم تكن شيئاً سِواها[١٠]"."وهذه الأضرب الثلاثة تقابل بالترتيب نفسه (الارتبــاط، الانفصال، الربـــــط)[١١] .

وإذا كان شرط إنجاز المنطوق أن يكون مفيداً فإن الوسيلة المعينة على تحقيق هذه الغاية المنشودة هى معرفة عنصرين؛ الوسائط اللفظية التى تعين على ذلك، وقد حددها تمام حسان بثمان قرائن: (العلاقة، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، النغمة)[١٢]. والعنصر الثانى يعتمد على الفهم والإدراك لعلاقات الارتباط الأساسية فى الجملة هى علاقات: (الإسناد، التعدية، الإضافة، الملابسة، الظرفية، التحديد، السببية، التمييز، الوصفية، الإبدال، التأكيد[١٣]". هذا الارتباط يحيل الملفوظ إلى كتلة واحدة هى النص، باعتبار أن كل جملة تقود إلى التى تليها فتعطى مزية التآخى بين الكلمات، والتعالق بين الجمل، والتناسق بين الفقرات، والانسجام بين النصوص، والتلاقى بين الخطابات.

<u>على أن هناك مجموعة من الأمور فى قضية (سيمانطيقا الخطاب) ينبغى الوقوف عليها:</u>

- إن مقاصد قوة فعل الكلام وما يترتب عليه من فعل إنجازى لقصدية المتكلم، وتأثيرى فى المتلقى هى التى تحدد نوع علاقات الربط أو الارتباط التى يقوم عليها سيمانطيقا الخطاب، وهو ما يقوم عليه البحث الآنى.
- تتحكم هذه الأفعال المنجزة فى آلية إنتاج المنطوق وفقًا للسياق،

وأغراض الاتصال المختلفة، من أجل بنية خطابية منجزة منوطة بقصدية المتكلم، وأحوال المتلقى.

- إن كل تمييز فى بنية الأفعال الإنجازية تخلق تأويلًا سيمانطيقيًّا خاصًّا بالخطاب على جهة العموم من أجل التعبير عن اتساق الخطاب واستمراريته، فإن الأحداث المنصوص عليها (الحدث المقدم) تترابط مع الأحداث المدلول عليها(الحدث التالى) ارتباط علة بمعلول، أو جزء وكل، أو شرط ونتيجة، أو توضيح، أو تفصيل، أو غيرها من العلاقات.
- ينبغى أن يعلم المتلقى قصدية العبارة ويتفهم معانيها؛ ليتمكن من مرجعيتها، وقد تتعدد المرجعية وفقًا للأحداث المنصوص عليها، ويرجح السياق أقوى الإحالات التى تتطلب الاستلزام المنطقى التى تفرض تلازم هذا بذاك.
- الشىء الرئيس فى قراءة كل عمل أدبى هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه؛ لذا ينبغى أن يكون عالماً بما يخص اللغة من صيغ المشاركة، وأنواع القرائن الملفوظة:(وجود دليل لفظى عام، دليل صوتى، دليل إعرابى،...)، والقرائن الحالية: (القرائن العقلية والمقامية). وترجع أهمية وجود الدليل لتحقيق الاتساق والانسجام، إن مثل هذا من الممكن أن نطلق عليه- فى ظل دائرة موسوعية كبرى-: (سيمانطيقا الخطاب، بل على جهة العموم سيمانطيقا السياق).
- إن مصطلح الترابط أعم وأشمل من مصطلح الربط، فهو يقوم على الأخير ويتعداه إلى القضايا القائمة على عدم وجود أدوت الربط الملفوظة، هذا يعنى أننا قد نطلق على مصطلح (الفصل والوصل)، مصطلح (الترابط).
- إن مصطلح الاتساق أكثر شمولية من مصطلح (الترابط)، فإذا كان الترابط قائما على جهة ربط ثنائى بين القضايا الجملية، فإن الجمل فى الخطاب بأكمله يكون كلا متسقًا. فالأخير يتجه إلى دراسة الكل، والترابط

يدرس الجزء داخل هذا الكل.

- إن ترابط الجمل عملية توزيعية يقوم على إجراءات مركبة، فمجموعة منها يقوم على الوصل التشريكى، ومجموعة تؤخذ من أبواب الظروف، والبعض يقوم على الأفعال مثل صيغ التعجب، أو الإضافة، أو النتيجة، أوعلاقات التأكيد والإبدال، إضافة إلى ذلك كيفية النظم، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم، وصيغة الفعل، ونوع المنطوق. ومن ثم كان هدف البحث الكشف عن بعض الصيغ الإنجازية التى حققت متوالية فى تمثيل مكونات الخطاب، وعلة اختيار تلك الوسيطة دون سواها، والأثر البلاغى التأثيرى الذى نجم عن اختيارها.
- تمثل أدوات الربط وظيفة سيمانطيقية دلالية تعتمد على ربط الأحداث، بينما ترتكز الوظيفة التداولية على تعليق الأحداث، ومن ثم فهى تحتوى على أدلة وبراهين، وظواهر معللة يظهر أثرها الإنجازى فى نتائج قوة الفعل الكلامى.
- التوكيد وسيطة علائقية سيمانطيقية لها دورها الرئيس فى ربط أجزاء الخطاب، ولها أيضا فعلها التداولى فى إيصال قصدية المتكلم والتأثير فى المتلقى.

تـــــمـــــهيـــــد:

وضع النحاة التوكيد في باب التوابع وذلك بعد تضييق موضوعه فيما يسمى بـــ(التوكيد اللفظي والمعنوى) مما أفقده دوره الوظيفى والإنجازى، ونجد هذا الأسلوب متفرقًا فى مباحث عدة لديهم؛ مثل (إن وأخواتها)، ويقرنون بينها؛ لأنها أدوات تتماثل فى العمل، وإن تباعد ما بينها فى المعنى والغرض، ونونى التوكيد وأحكامهما، وقد وضعوا لضمير الفصل شروطًا؛ ليفيد ضرباً من التوكيد. ويسميه البصريون فصلاً، والكوفيون عماداً[١٤]. وفى بحث التوابع يجعلون للتوكيد باباً خاصاً، فهو يجيء على قسمين، إما توكيد بتكرير الاسم، ويجيء على ضربين، ضرب يعاد فيه الاسم بلفظه، والثاني:

إعادة المعنى بلفظٍ آخر. أما القسم الثانى فيؤكد بما يحيط به[١٥].

لم يقتصر دارسو اللغة على أنواع التوكيد المعروفة، ومرجع ذلك تعرضهم للمعنى وما احتواه من بلاغة من جهة، وتتبع تلك المعانى فى القرآن الكريم، ومعرفة دلالالتها من جهة أخرى. وهذا يفسر وجوده في مناسبات ومواضع مختلفة[١٦]. وقد ربط عبد القاهر التوكيد بقصدية المتكلم وحال المخاطب، حيث يراعى فى قوة التوكيد وضعفه حال المتلقى(إن كان خاليًا من الذهن، أو مترددًا، أو منكرًا)[١٧]. ثم بين مجيئها على خلاف مقتضاه، وأن مبعثه القوة الإنجازية التى تبثها فى الخطاب مصوراً هذا فى قوله:" من لطيف مواقعِها أَنْ يُدَّعى على المخاطَب ظَنّ لم يظنّه، ولكنْ يُرادُ التهكّم به، وأنْ يُقالَ: "إنَ حالَكَ والذي صنَعْتَ يَقْتضي أن تكونَ قد ظننْتَ ذلكَ[١٨]. وهو ما تكلم عنه أوستن فى كتابه (نظرية أفعال الكلام)[١٩].

ثم جعل عبد القاهر الفعل الإنجازى هو العنصر الرئيس فى تداولية أفعال الكلام حيث بيّن الفروق فى الاستعمال والكيفية التأثيرية لها، موضحاً العلاقات السياقية والوسائط العلائقية ويظهر ذلك فى قوله:" أنكَ ترى الجملةَ إذا هيَ دخلَتْ تَرتبطُ بما قبلَها وتأتلفُ معه وتَتّحدُ به، حتى كأنّ الكلامَيْنِ قد أُفرِغا إفراغاً واحداً، وكأَن أحدَهُما قد سُبِكَ في الآخَرِ[٢٠]. ثم ذكر الوسيطة العلائقية التوكيدية وأفصح عنها فى ذكره خصائص (إنّ): "هذا شيءٌ آخرُ يُوجِبُ الحاجةَ إليها، وهو أَنها تَتولّى من رَبْط الجملةِ بما قبْلَها"[٢١]. بل إنها تبين وجه العلة فى الكلام السابق عليها، وحال المتلقى وما يخالجه من ظن أو تساؤل، ....، وهذا سبيلُ كلِّ ما اقترنت فيه الجملة بـــ(إنّ)، وجاءت بعد طلب[٢٢].

وجاء التوكيد فى مواضع مختلفة ومتناثرة عند عبد القاهر، فنجد ذلك فى مباحث:(التوكيد بضمير الفصل، والتقديم والتأخير، وفى الإثبات والتأكيد بـــ(إن وإلا)، والتأكيد بوضَعَ الظاهِرَ موضعَ المُضْمر، ويجمع التأكيد مع التكرار فى كونهما للإثبات، ومجيئهما بعد نفوذ الحكم[٢٣].

ولو تقصينا الأساليب التي أكد فيها البلاغيون على ضرورة ربط الكـلام بسياقه لظهر جليًّا أنها كانت ترتبط بقصدية المتكلم، وما يكون عليه حال السامع والمخاطب، ومراعاة ثنائية المقال والمقام، ويظهر ذلك جليًّا عند السكاكى(ت: ٦٢٦هـ): حينما تكلم عن الفنون الأربعة للاعتبارات الراجعة على الخبر؛ فن يرجع على الحكم في التركيب، وفن مرجعه المحكوم له، وفن مقصده المحكوم به، وفن خاص بـ (مناسبة المقام لمقتضى الحال)،...، ولا يتضح الكلام في جميع ذلك اتضاحه إلا بالتعرض له، ولا يخفى أن مقامات الكلام متفاوتة، ...، فإن كان مقتضى الحال وإطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم. وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة[٢٤]. ويخرج التلقى على خلاف هذه الحالات؛ لاعتبارات خطابية، فقد ينزل خالى الذهن منزلة غيره، وقد يقيمون من لا يكون سائلاً مقام من يسأل، ...، فيخرجون الجملة إليه مصدرة بـ (إن)[٢٥]، أو ما ترى بشاراً كيف سلكه في رائيته:

بكرا صاحبي قبل الهجير ... إن ذاك النجاح في التبكير

ويبين السكاكى- هنا-أن طبيعة الفعل الإنجازى تتكون من أسلوبية الأمر ثم استشراف النفس ونزولها منزلة المتسائل، لذا يأتيها الجواب بالتوكيد (إن) بما يخالف توقعات المتلقى؛ لتحرير التلقى من الطابع الآلى أو السكونى، ويجرى تكوينها بوسائل تثبيتية توكيدية؛ لتصل إلى أقصى مداها وأشد تثبيتها.

وقد وضح القزوينى (ت: ٧٣٩هـ) بلاغة التوكيد من خلال عدة أمور؛ التقرير، وهو تحقيق المفهوم والمدلول، أي جعله ثابتًا محققًا مستقرًا بحيث لا يظن به غيره، نحو:(جاءني زيد زيد)، إذا ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه. ويأتى التوكيد لدفع توهم السهو إذا خاف المتكلم أن السامع ظن به السهو فأسند الحكم إلى غير من هو له، ولدفع توهم التجوز، نحو:(زارني الأمير الأمير أو نفسه أو عينه)، لئلا يتوهم أن إسناد الزيارة إلى الأمير مجاز[٢٦].

* ويرى البحث أن التقرير يدفع توهم التجوز أو الغلط، وتوهم السهو، حيث إن التقرير يجعل الحكم أو المنطوق ثابتًا مستقرًا فى ذهن المتلقى، فالكلام إذا تكرر أزال الشك والإنكار والسهو. ولعل أسلوب التوكيد من أكثر الأساليب المنجزة لأغراضها؛ نظرًا لما تكتنفه من علاقته الواضحة بالسياق، وما يكتنف الخطاب من أحوال خاصة يراعى فيها قصدية المتكلم، وأحوال المتلقي، والنص الموجه إليه.

والعلاقات التوكيدية إحدى وسائل الفصل والوصل، وقد وقف المحدثون على دوره الرائد فى السيمانطيقيا، وقد عبر عن ذلك جوين كوين حين قسم العلاقات إلى صورتين؛ الأولى: واضحة، يجرى الربط فيها من خلال وسائل تركيبية. والثانية تضمينية، يتم فيها الارتباط من خلال التجاور(٢٧). ومعنى ذلك أن الربط ذو طبيعة خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، أما الارتباط يتمثل فى البنية العميقة على مستوى النص، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل أيضا(٢٨). هذا يبرهن على أن التماسك الدلالى للنص يتجاوز الأبنية النحوية السطحية للنصوص ويتصل بعالمها الدلالى. وهو يتجلى فى تلك الحالات التى قد يبدو فيها النص مفككًا من السطح، لكننا لا نلبث أن نتبين وراءه بنية عميقة محكمة فى تماسكها(٢٩).

وتعدُّ أسلوبية التوكيد من الوسائط العلائقية التى تؤدى إلى تضام الجمل، وهو مظهر من مظاهر التماسك ينتج عن التفاعل بين المعانى الجزئية داخل الخطاب، وغايته تكوين المعنى الدلالى؛ ليؤكد أن مبدأ تحليل النصوص يعتمد على معرفة أنظمة الوسائل التركيبية التى تجمع المعانى الجزئية والكلية فى نص تمثل فيه الجملة الأولى معلمًا يقوم اللاحق منها ويعود؛ لتستدعى علاقات عمودية فى نفسها، وانتشارية للذى يعود عليها ويتوالد منها وينبثق، لينتج نصًّا يتصف بالدينامية، يتحقق فيه عدة معايير؛ بعضها يتعلق بالدلالة/ التماسك النصى، والثانى يتعلق بالمنظومة التداولية.

وقد ارتأى البحث أن يسير في تحليل دلالة التوكيد فى سورة الفتح -موضوع الدراسة- على المنهج الإحصائي، ثم المنهج التحليلى والتداولىّ لتلك الأساليب ومعالجتها معالجة إنجازية تأثيرية على النحو الآتي:

- تنقسم أدوات التوكيد فى سورة الفتح - وفق قانون التحويل-إلى صورتين؛ الصورة الأولى: زيادة عنصر لغوي أو أكثر، ممثلة فى الآتى:(الأدوات المختصة بالدخول على الجملة الاسمية، والأدوات المختصة بالدخول على الجملة الفعلية، والأدوات المختصة بالدخول عليهما. والإطناب بكافة صوره التى تؤدى إلى التوكيد باعتباره أسلوبية مقصدها التطويل. وأسلوب القصر وأثره فى التوكيد. والصورة الثانية: خروج ترتيب الجملة على خلاف مقتضاه بصورة تدعم التوكيد.

- سوف يتخذ البحث البنية السطحية معياراً لكون الجملة اسمية أو فعلية أو شبه جملة، دون النظر للبنية العميقة؛ حيث إن البحث وضع للأخيرة مبحثًا مستقلًا للنظام التحويلى فى الجملة.

-هناك ملحقات للتوكيد فى سورة الفتح مثل: (الظرفية، الحال المؤكدة، النعت المؤكد، المفعول المطلق المؤكد، الظرف المؤكد، حرف الإضافة ومدخوله المؤكد، التمييز المؤكد، البدل المؤكد، الحال المؤكد، الاشتقاق التوكيدى)، وقد وظفتها الدراسة فى مبحث الإطناب بصوره المتنوعة.

-تم اختيار سورة الفتح؛ لِتنوع أساليب التوكيد فيها، وتعدد مقاصدها، وقد جاءت على مقطعين كليهما مبدوء بأسلوبية التوكيد:(إنا)؛ يبدأ المقطع الأول من قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١] حتى قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }[الفتح: ٧]. ويبدأ المقطع الثانى من قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }[الفتح: ٨]، ويستمر إلى نهاية السورة.

المبحث الأول: التوكيد بالأداة وأثره فى اتساق التراكيب.

المطلب الأول: الأشكال التركيبية للتوكيد بالزيادة فى الجملة الخبرية

الجملة هى الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد، وهى المركب الذى يبين المتكلم به أن صورة ذهنية قد تألفت أجزاؤها فى ذهنه، ومن ثم هى الوسيلة التى تنقل ما جال فى ذهنه إلى ذهن السامع(٣٠). وتنقسم الجملة إلى خبرية (إثبات، نفى، توكيد)، وإنشائية (طلبية، شرطية، إفصاحية)(٣١). وتنقسم الجملة الخبرية إلى (الجملة الاسمية، والجملة الفعلية).

النمط الأول: إنّ وأخواتها مع الجملة الاسمية البسيطة(٣٢) وقد تضمن صورة واحدة فقط من أربع صور(٣٣) هى: (إنّ+ اسمها+ خبرها جملة فعلية)، وقد جاءت فى أربع آيات(٣٤). ابتدأت السورة بالتوكيد (إنَا فتحنا) وهذا الإخبار التوكيدى؛ قصد به تعجيل المسرة؛ لأنه إظهار أمر فى النفس يوجب سرعة إعلام المخاطب به، وما يتبعه من وعود؛ لذا وصف بأنه فتح مبين. وقد جيء به مؤكداً؛ لرد إنكار المشركين والذين تخلفوا، فقد نزلوا منزلة من ينكر ذلك حينما رأى رسول الله أنه يدخل المسجد الحرام وهو ومن معه محلقين ومقصرين. أو أنه قد حدث تساؤل من بعض الصحابة، فعن عمر أنه لما نزلت: {إنا فتحنا لك}، قال رجل من الصحابة: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح»(٣٥).

وقد زاد ذلك توكيداً باستعارة الماضى للمضارع؛ نفاذاً للرؤية وتحقيقاً لها، إضافة إلى المصدر والوصفية التى لازمت الفتح. وحينما انتقل الخطاب القرآنى من وعده المؤمنين بالفتح المبين والنصر العزيز، وإحالة كل فريق إلى ما يستحقه، صدر تأكيداً لصفاته الثلاث التى وردت فى الآية: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهدا ومبشرا ونذيرا} [٨]؛ لكونه يخبر عن الأمة بتصديقها أو تكذيبها من جهة، وباعتباره لفظاً عاما يتفرع عنه التبشير لمن أطاع، والإنذار لمن عصى من الفريقين؛ لذا اقتصر على هذه الصفات هنا فى سياقها، وزاد عنها فى سورة الأحزاب: { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}[الأحزاب: ٤٦]. لأن المقام–هناك– مقام تنزيه النبى عن مطاعن المنافقين فى زيجته من

زينب بنت جحش، فزيد فى صفاته إشارة إلى كماله فى عدم اتباعه لأهوائهم ومزاعهم.

-ثم شرع الخطاب بالاستئناف فى الغرض الأصلى من السورة مؤكداً بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} اهتماماً بشأنها، وتأكيداً على استحضار صورتها مع قضاء عهدها، لذا ثنى بالقصر الادعائى: (إنما يبايعون الله)، وقد عبّر عن المعاهدة بالبيعة بأسلوبية المضارعة على سبيل الاستعارة التبعية؛ لاستحضار كيانها، فأنزل الهدف أو الغاية منها منزلة الأداة أو الوسيلة، فالبيعة لله تعالى، لا للرسول، والمعنى: لا يبايعون إلا الله تعالى. وإنما نسبت له تعالى؛ لعظم الوفاء بما وقع عليه التبايع وهو الموت وعدم الفرار؛ لذا عقبها بقوله: {فمن نكث فإنما ينكث على نفسه}؛ معبراً عنه بالمضارع؛ لاستمرار خذلان النكث أو نقض العهد على الفاعل ذاته، وبقصر القلب؛ تأكيداً لذلك.

-ثم جاء الخطاب مؤكداً فى قوله تعالى:{ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً}، وقد تم توكيده كليةً؛ لكونه اعتراضاً ينتج دلالات التحذير من مغبة التثاقل عن نصرة الله ورسوله؛ لذا أكد بالتوكيد(إنا)، والإظهار:(الكافرين)، بدلا من الإضمار:(لهم) تشديداً فى الوعيد، وتأكيداً له.

- لَـــــــــــــــــوْلَا[٣٦]: إِنَّمَا هِيَ (لَو+لَا) جُمعتا فَخرجت (لَو) من حدّها، و(لَا) من الْجحْد، إِذا جُمعتا فصيّرتا حَرْفاً[٣٧]. فَإِن حذفت (لَا) من قَوْلك (لَوْلَا) انْقَلب الْمَعْنى فَصَارَ الشَّيْء فِي (لَو) يجب لوُقُوع مَا قبله[٣٨]. ولها حالان: أحدهما أن تكون حرف ابتداء. وذلك إذا وليها اسم ظاهر، أو ضمير رفع منفصل[٣٩]. وقد جاءت فى قوله تعالى: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح: ٢٥]. وقد عبّر عن هذا بأسلوبية الامتناع؛ لتوكيد رحمته بمن يشاء، فقد رحم الله تعالى المسلمين بحفظ قوتهم وعدتهم وعتادهم من جهة، وحفظهم من أن

تلحقهم معرة قتل إخوانهم المسلمين دون علم بأنهم مؤمنون من جهة ثانية. ورحم المؤمنين والمؤمنات بنجاتهم من الهلاك والقتل من جهة ثالثة. ورحم الكافرين لعلهم يسلمون من جهة رابعة. وقد ظهر هذا فى إسلام الكثير بعد فتح مكة.

المطلب الثاني: الأشكال التركيبية للتوكيد بالزيادة في الجملة الفعلية

١-**نونا التوكيد،** النون المشددة والمخففة، وهما أداتان تختصان بالدخول على الأفعال و تلحقان صيغتي المضارع والأمر(٤٠)، تدلان على التوكيد وتخلصان الفعل إلى المستقبل، وقد جاءت النون الثقيلة، في سورة الفتح، في الفعل الذى دخلته لام القسم فى قوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}(الفتح:٢٧). ويدخل فيها معنى القطع والحتمية، وهذا يفسر قول المبرد: "اعلَم أَنَّك إِذا أَقْسَمت على فعل لم يَقع لَزِمته اللَّام، ولَزِمَ اللَّام النُّون،...، لِأَن الْقسم لَا يَقع إِلَّا على مَا لم يَقع من الْأَفْعَال فكرهوا أَن يلتبس بِمَا يَقع فِي الْحَال(٤١). وقد جاءت فى سياق تصديق رؤيا رسول صلى الله عليه وسلم، وتكذيب قول المنافقين، ذلك أن رسول الله قال:"إنِّي قَدْ رأَيْتُ أنَّكُمْ ستَدْخُلُونَ المسجد الحرام محلقين رُءوسَكُمْ ومقصرين."فلما نزل بالحُديبية، ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، وقالوا: أين رؤياه(٤٢)؟ فقال تعالى ذلك الخطاب القرآنى مؤكداً إياه بأكثر من مؤكد: (لقد+ لتدخلن) وقد صاحب الأسلوب إظهار لفظ الجلالة:(الله)؛ توكيداً لصدق رؤيا صلى الله عليه وسلمَ، وكأن المعنى: إني لم أره يدخلها هذا العام، وليحدثن ذلك.

٢-**لـــــــــــن:**

يقول الخليل: وأمّا (لن) فهي: (لا+ أنْ)، وصلت لكثرتها في الكلام، ألا ترى أنّها تُشْبِهُ في المعنى: (لا)، ولكنّها أوكد(٤٣). و(لَنْ) تقع على الأَفعال نَافِيَة لِقَوْلك: سيفعل، لأَنّ (هُوَ يفعل)، إخبار عن الفعل فى الحال، أما إذا قلت: سيفعل أَو سَوف يفعل فقد أَخلصت الْفِعْل لما لم يَقع(٤٤)، وهذا ما أكده

سيبويه- مسبقًا- بقوله: (لن يفعل) نفياً لقولك: (سيفعل)[٤٥]. قال الزمخشرى وهو بصدد تفسير قوله تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}[البقرة: ٩٥]، وقوله تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا}[الجمعة: ٧]. ولا فرق بين «لا» و"لن" في أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل، إلا أن في "لن" تأكيدا وتشديدا ليس في "لا"[٤٦]. وقد وقعت (لن) في سورة الفتح في ثلاثة مواضع[٤٧]. وأفادت معنى التأبيد فى قوله تعالى: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا}(الفتح: ١٢)؛ لأنهم أيقنوا وجزموا باستئصال أهل الحديبية، وزين ذلك فى قلوبهم فزاده توكيدا بالظرفية:(أبدًا). وذكر الأبد بعد (لن) تأكيداً لما تعطيه (لن) من النفي الأبدي، وهو لا يعنى التكرار بين ما تقتضيه (لن)، ولفظة (أبدا)، يؤيد ذلك قول الصبان: أن هذا ليس تكرراً باللفظ وهو ظاهر، ولا بالمرادف؛ لأن الاسم لا يرادف الحرف؛ ولأن التأبيد نفس معنى (أبداً)، وجزء معنى (لن)[٤٨]. كما جيء بها فى سياق تأكيد النفي؛ لقطع أطماعهم في الإذن لهم باتباع الجيش الخارج إلى خيبر فى قوله: {قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا}[الفتح:١٥]، كما أنه تعالى سنّ سنةً فى الأرض بنصر من ينصره، وأنّ الغلبة له تعالى ولرسله فقال: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}[الفتح: ٢٣]، أى هى سنة مؤكدة لا تتغير، وزادها توكيداً بالجار: (من قبل)، وقد استعمل الخطاب زيادة التوكيد للتبشير لأوليائه من جهة، والتنفير والتحذير للمنافقين والكافرين من جهة أخرى.

٣- قــــــــــــد:

تدخل (قد) على الفعل الماضي بشرط أن يكون متصرفاً، وعلى المضارع بشرط تجرده من جازم وناصب وحرف تنفيس. أما من الناحية الدلالية التركيبية للسياق التى ترد فيه (قد) فقد اختلف فيها؛ قال الخليل: أما قد فحرف يوجب الشيء، كقولك: قد كان كذا وكذا،... فأدخل (قد) توكيداً لتصديق ذلك. وتكون(قد) في موضع تشبه(رُبّما)، وعندها تميل إلى الشك إذا كانت مع العوامل، كقولك: قد يكون ذلك[٤٩]، أى إذا دخلت على الفعل

المضارع. ويؤكده المبرد بقوله: (قد) إذا كانت حرفًا فلهَا موضعان من الْكَلَام؛ أَحدهما أَن تكون لقوم يتوقّعون الْخَبَر، نَحْو قَوْلك: هَل جاءَ زيد؟ فَيَقال: قد جاءَ. وَتَكون فِي مَوضِع (ربمّا)[٥٠]. قال سيبويه: كأنه قال: (ربما)؛ لأن فيها توقعا[٥١]. وقيل: حرف تقريب مع الماضي، وتقليل مع المستقبل. وقيل: إن دخلت على المضارع، فهي للتوقع، أو للتقليل، أو للتكثير. وإن دخلت على الماضي فهي للتحقيق. وقد أثبت الكثيرون معنى التوقع مع الماضي، إذا كانت للأمور المتوقعة أو المرتقبة، وهى حرف إخبار في جميع ذلك، لا يخالفها. فهو الخاص بها الذي تسمى به[٥٢]. وقد دخلت على الفعل الماضى فى سورة الفتح فى (أربعة مواضع)[٥٣]، وقد جاءت لتحقيق رضا الله عن المؤمنين فى مبايعتهم رسول الله بل مبايعتهم أنفسهم وأموالهم وأهليهم لله تعالى فى قوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ}[الفتح:١٨]، وجاءت فى سياق تحقيق البشرى والفوز بالنصر بل المغانم الكثيرة التى يتوقعونها أو التى لا يتوقعونها ولا يستطيعون جلبها، وقد جعلها الله تعالى لهم، فهى مقدرة لهم أزلًا فى قوله تعالى: {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}[الفتح:٢١]، ثم الفوز لمن ينصره وينصر رسله أمر مقرر أزلى-إن أخذ بالأسباب- لذا جاء محققًا فى قوله تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ} [الفتح: ٢٣]، كما جاءت فى سياق تحقيق رؤيا رسول الله، ودحض شبهة المنافقين الذين شكوا فى ذلك: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا}[الفتح:٢٧]. وفى كل هذه المواضع عملت (قد) على ربط أجزاء الخطاب، وتحقيق دلالات التوكيد التى تطلبها النص.

٤-السـين:

السّين حرف يخْتَص بالمضارع وَيُخَلّصهُ للاستقبال وَينزل منْهُ منزلَة الْجُزْء[٥٤]. يقول المبرد: أما إذا قلت:(سيفعل أَو سَوف يفعل) فقد أَخلصت الْفِعْل لما لم يَقع[٥٥]. وإنما تدخل هذه السين على الأفعال المضارعة، وهي إثباتٌ، يؤكده الزمخشرى وهو بصدد تفسير قوله تعالى: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ} [البقرة:

١٣٧]، ومعنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين(٥٦). ووَجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل، فَدَخولُها على مَا يُفِيد الوعد أو الوعيد يقتضى التوكيد، وتثبيت المعنى. أما فائدتها الدلالية إثبات الشيء وتوكيده قبل وقوعه. وقد ذكرها الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} [البقرة: ١٤٢]، والفائدة مرجعها أنّ مفاجأة المكروه أشدّ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب؛ إذا وقع لما يتقدّمه من توطين النفس، وأنّ الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه(٥٧). وقد وقعت (السين) فى سورة الفتح فى (خمسة) مواضع(٥٨). وقد جاءت لإثبات الشيء ووقوعه؛ طمأنةً لمن يفعل ذلك: {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح:١٠]، وسياق الآيات استحضار حالة المبايعة، وأن الغرض منها النصر لدين الله ورسوله، وحيث إن أمرها عظيم وخطير فى الوفاء بما وقع عليه التبايع، حذّر من ينكث عهده بها، وبشّر من يوفى بالأجر العظيم، وزاده توكيداً الوصفية بالعظمة التى تتنوع بين أجرى الدنيا والآخرة. كما جاءت فى سياق علم الله لرسوله بما سيقوله المخلفون وما يخلقونه من أعذار:{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا}[الفتح، ١١]. والدليل على ذلك حين يعلمون بنصر المسلمين، وأن مغانم يأخذونها دون قتال يزداد حرصهم على الخروج معهم، ولا تشغلهم تلك الأعذار التى ادعوها فى قوله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ}[الفتح:١٥]، ويظهر الخطاب حال الفريق الواحد حينما تكون لديه الرغبة فى الخروج، وحرصه على المغانم الدنيوية بالحذف، فلا مجال للإطناب فى قولهم:(سيقول المخلفون)، بخلاف قولهم:(سيقول لـــك المخلفون)؛ ليصور النفس المنافقة حينما تخلق الأعذار فهى تميل للإسهاب، فربما تقنع من تحدثه. ثم يصور حالهم حينما يرد الخطاب القرآنى على سؤلهم: {قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ}، فإن الجواب العالق بأذهانهم: {فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا}، والمعنى المتبادر إليهم أنّ منعهم من الخروج ظنّا

منهم أن المؤمنين لا يحبون أن يشاركوهم المغانم التى اغتنموها. وحيث إن المخلفين عن رسول الله كانوا قوماً مسلمين انتقل إلى طمأنتهم بنيهلم مغانم فى غزوات لاحقة، محذراً إياهم بعدم التولى والتخلف مرة أخرى فى قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ}[الفتح:١٦].

٥- لــــــــــــو: لا يليها إلا فعل، أو معمول فعل مضمر، يفسره ظاهر بعده(٥٩). وقد عبر ابن مالك، عن معنى: (لو) بثلاث عبارات: (لو) حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم؛ لثبوته ثبوت غيره. والثانية: (لو) حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه. والثالثة: (لو) حرف يدل على انتفاء تالٍ يلزم لثبوته ثبوت تاليه(٦٠). وهو الذي قصده سيبويه، من قوله: وأما (لو) فلما كان سيقع لوقوع غيره"(٦١). يعني أنها تقتضي فعلاً ماضياً، كان يتوقع ثبوته؛ لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع. فكأنه قال: (لو) حرف يقتضي فعلاً، امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته(٦٢). وإذا كان موضوعها-كما نص عليه سيبويه- من أنها تقتضي لزوم جوابه؛ فإن الثبوت يلزم التوكيد لاسيما جوابها-غالبا- يقترن باللام، وقد وقع ذلك فى موضعين(٦٣)، قوله تعالى:{وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ}[الفتح:٢٢]، وقد جاء ذلك فى سياق رحمة الله تعالى بالمؤمنين والكافرين، فقد كف أيدى الكافرين عن المسلمين، والمسلمين عنهم، وقد كان النصر حليفاً لهم، فلم يكن الكف عن ضعف قوة، أو خور عزيمة؛ ولو وقع القتال لفروا على أدبارهم، وقد عبّر عن ذلك بأسلوبية الإظهار:(الذين كفروا) بدلًا من (قاتلوكم)؛ بيانًا أن الكفر هو علة التولى والهزيمة، فلم يجدوا من ينصرهم، ولم ينفعهم جمعهم. ثم استعمل (ال) العهدية فى لفظة: (الأدبار)، كأن ذلك عهدهم وديدنهم المعلوم عنهم. كما جاء فى سياق ذم الكافرين؛ لصدهم المسلمين عن المسجد الحرام:{ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح:٢٥]. وقد كف الله تعالى المسلمين عنهم مع وجود هذا السبب؛ لوجود فئة مؤمنة بين ظهرانيهم لا يعلم

المسلمون ماهيتهم، فيلحق بهم معرة قتل إخوانهم، ولولا ذلك المانع لعذبناهم بأيديكم عذاباً وصف بـــ(الأليم)؛ لشدة وقعه عليهم.

المطلب الثالث: التوكيد بالأدوات المشتركة بين الاسمية والفعلية

١- لـــــــــام التعليل:

هذه اللام هي لام التعليل. مَكْسُورَة أبدا، مَعْنَاها: لكَي[٦٤]، وتتصل بالأفعال المستقبلة، وينتصب الفعل بعدها[٦٥] وحقيقة معناها، الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معانى أخر[٦٦]. وقد جاءت فى سورة الفتح فى (ثمانية) مواضع مصرحًا بها[٦٧]، و(ستة) مواضع[٦٨] تم عطفها على المصرح بها ليحتل موقعها(أربعة عشر موضعاً). وقد جاءت سورة الفتح خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم، فمحورها الرئيس هو الفتح، وهو ذاته قد جعل لإتمام مغفرته وعلو منزلته، وهدايته، ونصره على أعدائه، فقد بدأت السورة بالتعليل لهذه الأمور الثلاثة، ثم علل نصر المؤمنين بإنزال السكينة عليهم؛ وإنما جعل إنزالها لزيادة إيمانهم، والربط على قلوبهم، وهذا مبعثه أن تكون جنة الخلد مستقرهم، ثم جعل ذلك النصر بما فيه آية لهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، لذا فقد كف أيدى الفريقين عن بعضهم البعض، حيث إن رحمته سبقت عذابه، مع قدرة المسلمين-آنذاك- على النصر، وقد جعل الكف علامة الرحمة؛ لما فيه من حفظ لهؤلاء الفريقين، وفريق مؤمن آخر لا يعلم عنه أصحاب رسول الله شيئًا. وكل هذا سنامه إظهار دين محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأديان، وأصحابه الذين وسموا فى التوارة والإنجيل بصفاتهم المعهودة كالزرع الذى استوى واشتد عوده. ثم حال الفريق الثانى الذي وسم بالظن السوء فكان العذاب جزاءً لهم، ثم تحولهم بعد ذلك لمطالبتهم الخروج للغزو طمعاً منهم فى نيل المغانم دون قتال. وهكذا تؤدى أداة التعليل(اللام) سواء صرح بها أو جاءت مضمرة إلى تماسك النص القرآنى وتصوير الحدث والشخصيات تصويراً يعلن عن أسباب نزوله.

٢- **بــل:**

بل: حرف إضراب. وله حالان: الأول: أن تقع بعده جملة. والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عما قبله، إما على جهة الإبطال(٦٩). وإما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال(٧٠). فإن كانت بعد أمر أو إيجاب نقلت حكم ما قبلها لتاليها المفرد(٧١). وصار ما قبلها مسكوتاً عنه لا يحكم له بشيء، أما إذا كان قبلها نهي أو نفي قّررته، فإذا تلاها جملة فالإبطال للمعنى(٧٢). ومن

المعلوم أن الإثبات يأتى لتوكيد دلالة بعينها، وقد وقع ذلك فى سورة الفتح في أربعة مواضع(٧٣). وجاءت فى سياق خلق المخلفين أعذارًا واهية:{ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[الفتح:١١]، ويطلبون من رسول الله أن يستغفر لهم، وهذا القول لا يجاوز طرف ألسنتهم، وقد ردّ الخطاب القرآنى عليهم بحرف الإضراب: (بل)؛ لإبطال اعتذارهم، وبه ازداد مضمون قوله: { يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} تأكيدًا، وازداد مضمون قوله تعالى:{ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} بيانًا. ثم أعيد حرف الإبطال فى قوله: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا}[الفتح:١٢]، وقد قوى الإبطال بالتكرار الذى حقق البدلية من الجملة الأولى منكرًا عليهم اختلاقهم لأسباب قد زينتها قلوبهم، وأن السبب الرئيس لامتناعهم ظنهم السوء بعدم نصرة رسول الله ومن معه، ورجوعهم إلى أهليهم سالمين. ثم ازداد الحدث تصويراً بعزمهم على صحبة رسول إذا أدركوا أن الغنيمة ضُربت ظلالها على المسلمين، وإذا منعهم رسول الله باللحاق بهم، كان الجواب الذى يكشف عن سريرتهم، وسوء اعتقادهم، أن هذا حسد من المؤمنين وبغض لهم كراهيةً لعدم مشاركتهم، وقد أبطل اعتقادهم بكونهم لايفقهون إلا قليلًا فى قوله: {فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[الفتح:١٥].

٣- **لا النافية:**

لا النافية، تدخل على الأسماء، والأفعال. فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعاً. ونصّ الزمخشري، على أنها تخلصه للاستقبال(٧٤). وهو ظاهر مذهب سيبويه أن المنفي بها قد يكون للحال(٧٥).

وقد تدخل لا النافية على الماضي قليلاً(٧٦)، والأكثر- حينئذ- أن تكون مكررة، وإذا دخلت على الأسماء وجب تكرارها(٧٧). وقد جاءت في سورة الفتح في ستة مواضع(٧٨)؛ تارة مقرونة بالاستثناء، وثانية يليها الخبر، وهي مكررة للتوكيد، وثالثة يتبعها المضارع المؤكد للسابق. وقد جاءت فى سياق نفى الفهم عن المخلفين عن رسول الله حين اتهموا المؤمنين بالحسد، وأن سبب منعهم من الخروج إلى غزوة خيبر ما هو إلا كراهيتهم مشاركتهم الغنائم فى قوله: {بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا }[الفتح:١٥]، كما جاءت مكررة فى سياق نفي الوعيد عن أصحاب الضرارة فى قوله:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ }[الفتح:١٧]، تحذيراً من التولى؛ لذا جىء بها فى تفرق جمعهم، وتحقق الهزيمة لهم إذا قاتلهم المسلمين؛ لعدم وجود نصير فى قوله:{وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً}[الفتح:٢٢]، مكرراً أسلوبية النفى؛ توكيداً وتحقيقاً. ثم جاء بها فى سياق التبشير بدخول المسجد الحرام، وأن دخولهم فيه دخول أمن حتى يتموا شعائرهم، وأنّ هذا الأمن مقرون بعدم الخوف أو القلق فى قوله: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}[الفتح:٢٧]. وكل أداة داخلة على جملة؛ لإفادة معنى الجملة فهى رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة فى حيزها، يصدق ذلك على الأمر باللام، والنفى، والاستفهام، والشرط، والقسم، والتعجب(٧٩).

٤-**إن+ ما الكافة:** ومن أحكامها أنها إذا اتصلت بها ما الزائدة، بطل عملها، وتكون (ما) كافة، ومهيئة لدخولها على الأفعال. وهو لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع. ويصلح مع ذلك، للحصر(٨٠). ولها مزية تلاحم الجمل مثل غيرها من الحروف، وفى ذلك يقول د. محمد عبد المطلب: وقد

يكون لحرف الإثبات (إنّ) قدرة على الربط بين الجمل بحيث يحدث عمليةَ تراجعٍ بالجملة الثانية إلى الأولى ليحدثَ نفس الالتقاء الرأسى، مما يعمق أبعاد الدلالة فيؤكدها، ويجعل الجملتين كأنما أفرغتا فى قالبٍ واحدٍ وسبكتا سبكًا منتظمًا(٨١). وقد وقع ذلك في سورة الفتح(٨٢) في موضعين فى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح:١٠].

٥-**أن مفتوحة الهمزة وساكنة النون**(٨٣): وهى حرف مصدرى ناصبة للْفِعْل، وَالْفِعْل بعْدهَا أَيْضا صلَة لَهَا(٨٤). وقد جاءت في أربعة مواضع (٨٥). أما المخففة من الثقيلة فهى تنصب الاسم وترفع الخبر، كأصلها(٨٦). وتقع بعد فعل اليقين والظن وما شابهه، وقد جاءت فى قوله تعالى:{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ}[الفتح:١٢]، و{أَنْ} مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن(محذوف)، والمعنى: بل ظننتم ألّا يرجع الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا، فجاء مؤكدًا لظنهم؛ لذا جيء بوصفهم بالبوار؛ لنفى أى نفعٍ يرجى منهم.

٦-**إن مكسورة الهمزة وساكنة:** ولها أربعة مواضع: "إن" التي تكون في الجزاء، نحو: إن تأتني آتك. والثاني: أن تكون في معنى "ما" نفيًا، تقول: إن زيد منطلق، تريد: ما زيد منطلق. والثالث: أن تدخل زائدة مع "ما" فتردها إلى الابتداء، كما تدخل "ما" على (إن) الثقيلة فتمنعها عملها، وذلك قولك: ما إن يقوم زيد، ولا يكون الخبر إلا مرفوعًا. والرابع: أن تكون مخففة من الثقيلة، فإذا رفعت ما بعدها لزِمتها اللّام فِي خَبَرهَا لئلاّ تلتبسَ بالنافية(٨٧). وقد وقع الجزاء فى سورة الفتح باعتباره عنصرًا سيمانطيقيًا للربط بين أجزاء الخطاب فى أربعة مواضع(٨٨). وهذه الأدوات تحقق الربط بين أجزاء الخطاب، وفى ذلك يقول تمام حسان: "وكل أداة داخلة على جملة فهى رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة فى حيزها"(٨٩) .

٧-**إذ:** تضاف إلى الجملتين: الاسمية، والفعلية، وهو لفظ مشترك؛

يكون اسماً، وحرفًا. وقد يكون ظرفًا لما مضى من الزمان(٩٠). نحو قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ}[الفتح:١٨]، والمعنى: رضى الله عنهم– فى تلك الآونة– فعلم ما وقع فى قلوبهم من حزن؛ لرجوعهم دون اعتمار، وفي قوله:"إذ يبايعونك" عدول عن المضارع إلى الماضي؛ لاستحضار المبايعة صورة ورؤية وتجسيداً؛ لكونها عظة ودرساً فاعلًا فى امتحان الله تعالى لعباده. وقد جاءت– أيضا– ظرفًا لما مضى(٩١) للتوكيد فى قوله تعالى:{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}[الفتح:٢٦]. واستخدام أداة (إذ)؛ يحقق الربط بين قوله تعالى:{هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}؛ إذا جعل الحمية سبباً فى صدهم عن المسجد الحرام، لكونها متمكنة فيهم، ظاهرة آثارها على أفعالهم.

٨–**إِذَا: لفظ** مشترك يكون اسماً وحرفًا؛ وقيل لا يليه إلا فعل ظاهر، ويجوز الابتداء بعد إذا الشرطية، وأدوات الشرط، إذا كان الخبر فعلاً(٩٢). وقد جاءت ظرفًا لما يستقبل من الزمان، متضمناً معنى الشرط فى قوله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ}[الفتح:١٥]، و(إذا) ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بـــ(يقول)؛ أي سيقولون وقت انطلاقكم: (دعونا نتبعكم). وإذا تدل على إنشاء الارتباط والشرط، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها، وإذا ظرف للمستقبل، ووقوع فعل المضي بعده دون المضارع مستعار لمعنى التحقيق، وقد تحقق ذلك بقولهم هذا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما بعد.

وينتج من هذا أن الروابط التركيبية وسائلُ لغويةٌ يتوسل بها الباث فى تنظيم عالم الخطاب؛ ليظهر دور الربط من خلال عدة معايير بعضها يتعلق بالدلالة، وبعضها يتعلق بالجانب التداولى، وقد حققت تلك الأدوات غاية التفاعل المرجو منها فى تكوين معنى دلالى. وتقتضى وحدته ائتلاف المعانى الجزئية داخل الجملة عن طريق العلاقات النحوية والسياقية. أما الجانب

التداولى فيشتمل على أمور عدة منها؛ دور المتلقى، وقصدية المتكلم، وغاية النص، ونوع المقام ...

المبحث الثانى: أثر التنويعات الأسلوبية للإطناب فى اتساق البنية النصية (علاقة التوكيد أنموذجًا)

يعدُّ الإطناب أحد الآلات التى يعزف عليها المتكلم فى تصوير أفكاره بوسائل أسلوبية متعددة، فالتفصيل بعد الإجمال، والتكرار، والاعتراض، والإيغال، والتذييل، والتكميل، والاحتراس...، إلى غيرها من طرائق الإطناب تأتى لخدمة المعنى، وإقناع القارئ وإمتاعه وجذب انتباهه وإثارة خياله من جهة، أو لقصدية فى نفس المبدع من جهة أخرى تغلفه دائرة كبرى هى دائرة السياق. وطرائقٌ الإطناب مختلفة؛ لاعتماد الخطاب أو تعديله، ومن ثم فإنها تؤثر على محور التركيب الداخلى للنص بصورة عامة. ويأتى الإطناب فى أشكال متعددة؛ لتحقيق أغراض معينة <u>(وما يعنيه البحث هو علاقة التوكيد فى سورة الفتح)، </u>ومن صوره:

<u>المطلب الأول: أثر التوكيد بالتكرار فى التماسك النصى</u>

<u>النوع الأول: التوكيد المعنوى (غير الصريح) فى سورة الفتح:</u>

ويقصد به تكرار اللفظ بمعناه لا بلفظه، ويأتي على نوعين، توكيد تخصيص؛ أي تخصيص المؤّكد، ويتم بلفظين مضافين إلى ضمير يعود على المؤكد ويتبعه فى الإعراب، وهما:(نفس، وعين). والنوع الثانى: توكيد شمول أو عموم، ويتّم بألفاظ (كل، وجميع، وعامة، وقاطبة، وكافّة، وكلا، وكلتا)(٩٣). وقد ذكَر في سورة الفتح هذا النوع فى قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً}[الفتح:٢٨]. وعبر عن الإسلام بالهدى ودين الحق؛ إجلالًا وتنويهاً بفضله من جهة، وتعريضاً بمعتقداتهم من جهة أخرى؛ لذا جيء بأسلوبية التوكيد: (كله) مدعمة بلفظة: (ليظهـــــــره)؛ كناية عن فضل الدين وظهوره وعلوه

وشرفه على جميع الأديان، وكان ظهور الإسلام فى جزيرة العرب أشد؛ لأن الإسلام غلب عليها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لَا يَبْقَى دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»[٩٤]؛ فكانت شدة الكره لظهوره محل المبالغة فى نصرته وعلو شرفه على جميع الأديان.

النوع الثانى: التوكيد اللفظى(الصريح) بالتكرار فى سورة الفتح

التّوكيد اللّفظيّ يتضمن نمطين؛ الأول: إعادة اللّفظ والتأكيد بصريح التكرار، وهو جارٍ في الحرف، والاسم، والفعل، والجملة، والمظهر والمضمر. والثانى: تقوية اللفظ بالذى يوافقه معنى.

النمط الأول: التأكيد بصريح التكرار

أولا: التكرار بالحرف:

أما التوكيد فى الحروف فنحو قولك: (في الدار زيدٌ قائمٌ فيها)، فتعيد (فيها) توكيداً" و(فيك زيدٌ راغبٌ فيك)، إلا أن الحرف إنما يكرر مع ما يتصل به لا سيما إذا كان عاملاً[٩٥]، وجاء التكرار بالحرف فى سورة الفتح فى عدة مواضع؛ فى قوله تعالى:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ}[الفتح ١، ٢]، وقد أعطى للفتح خصوصية بتميزه بالضمير:(لـــــك)، وإنما جيء بالتخصيص؛ لقَصْر الفتح، وعلو المنزلة، وتمام المغفرة، وكمال الدرجات؛ تعظيماً لشأن رسول صلى الله عليه وسلم. أو أن اشتراك اللام والضمير؛ لأن هذه الأمور مجتمعة ومتحققة لأجل الرسول صلى الله عليه وسلم. وفى قوله تعالى: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}[الفتح:٦]. جاءت جملة: (عليهـــــــم دائرة السوء) اسمية للدعاء عليهم؛ تحقيراً من شأنهم، ولزومهم صفة (السوء) لاسيما هذا الوصف ثابت ملازم، أما الثانية:(وغضب الله عليهم) فقد أنتجت دلالتها بالأفعال الماضية؛ تحقيقاً وتمكيناً لهذا التعذيب الذى نال خصوصية بذكر ألفاظ أسلوبية

ملازمة له.

وقوله تعالى: {بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا .بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا}[الفتح١١، ١٢]. فقد بين كذبهم بأسلوبية التقديم والتأخير، وأكد على إبطال اعتذارهم بحرف الإبطال (بل) مكررًا إياه؛ لبيان نواياهم. ثم أظهر الخطاب القرآنى بتكرار الحرف ذاته فى قوله تعالى: {فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[الفتح:١٥]. إن هذا الإصرار على الباطل ونسبة الأمور إلى غير أهلها ديدنهم؛ لذا جيء بعموم نسبة السفه إليهم عن طريق تكرار (بل)، الذى أنتج دلالة الخصوصية أولاً، ثم دلالة العموم ثانيا. ونجد تكرار الحرف(لا)، وأداة الشرط المحققة للجزاء فى قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح:١٧]. وأعيد حرف (لا) تأكيدًا لمعنى النفى فى سياق نفى الوعيد عن أصحاب الضرارة؛ توكيدًا على العذر لهم، والتحذير من التولى لغيرهم. ثم كررت أداة الشرط؛ لتضفى خصوصية التمييز بين الفريقين؛ الأول الذى بايع الله ورسوله وكان الجزاء من جنس عمله، والثانى الذى تولى وحقّ عليه العذاب. كما تكرر حرف النفى (لا) فى قوله تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}[الفتح:٢٢]، والمقصود من التكرار مزيد من التوكيد على غلبة المؤمنين؛ لأن الله قدّر النصر لهم، فلو قاتلهم الكافرين لهزموا ولم ينتصروا بجمعهم ولا بقوتهم ولا بمساندة غيرهم لهم.

ثانيا: التكرار بالاسم:

-تكررت لفظة (الفتح) فى أربعة مواضع، ثلاثة منها عبر عنها بالمصدر، وفى موضع عبر بالفعل[٩٦]، والفتح-هنا- فى الموضع الأول هو فتح مكة أو فتح الحديبية[٩٧]، وعبّر عنه بالماضى؛ لأنه أمر واقع لا دافع له، يؤيده بعد ذلك سورة النصر. أما لفظة (الفتح) فى الموضعين الأخريين (فتحًا

قريباً)، فالمقصود فتح(خيبر)، وكان خاصا بأهل الحديبية، وكان قريبا من يوم البيعة بنحو شهر ونصف(٩٨).

- تكررت لفظة (القلوب) فى خمسة مواضع(٩٩)؛ منها ما جاء فى إنزال السكينة فى قلوب المؤمنين؛ ليزدادو إيمانا مع إيمانهم، وفى (موضعين) فى كذب المخلفين وتوليهم، والموضع الأخير للكافرين؛ إذ جعل الحمية فى قلوبهم، وكانت عنواناً على صدهم المسلمين عن المسجد الحرام، وإقامة شعائرهم، وهذا إن دلّ فإنما يشير إلى حقيقة الإيمان الكامن أو العكس، وأنه العامل الرئيس فى الحكم على تصرفات الإنسان، لذا فإن القلوب أوعية العقول، وفى الحديث:" "أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ(١٠٠)".

-تكررت لفظة السوء فى سورة الفتح فى ثلاثة موضع فى قوله تعالى:{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}[الفتح:٦]. وقوله تعالى: {وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا }[الفتح١٢]. وهذا يدل على أن هذا ديدنهم وخلقهم المتلبس بهم، فقد ظنوا السوء بالرسول فى عدم نصرته؛ لقلة أتباعه، وكثرة أعدائه، من ثم تخلفوا عن نصرته فتوعدهم الله عزوجل بملازمة السوء لهم فى الدنيا والآخرة. كما تكررت لفظة (يد) فى قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ }[الفتح:١٠]. وفى تكرار لفظة (اليد) وما تحمله من مشاكلة إشارة إلى الغلبة والنصرة، وزاد الأسلوب توكيداً إظهار الاسم الأعظم (الله)؛ لتربية المهابة. كما تكررت لفظة (اليد) فى قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ}[الفتح:٢٤]. فقد كف الله تعالى أيدى الكافرين عن المؤمنين فى الحديبية إظهاراً وإعلاماً لهم بالنصر دون قتال، وذلك عن طريق الصلح؛ لذا عبر بـــــ(الكف)؛ لما يحمله من رحمة للفريقين.

كما تكررت لفظة (الحمية) فى قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}[الفتح:٢٦]، وقد عبر الخطاب القرآنى

بالموصولية (الذين كفروا)، بدلا (الكافرين)؛ لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به، وهذا الجعل خصص بـ(القلوب) بيانًا لمكانه؛ إذا القلوب أمكنة للعقول بقرينة قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج: ٤٦]؛ وجىء بها بيانًا لقوة الغضب المستكن فى قلوب هؤلاء، وعبر عنها بـ(الحمية) دلالة على شدته؛ لذا أبدل منها (حمية الجاهلية)، أى أن مبعثها ناشىء منها، فهى بغير حجة وفى غير موضعها. وإضافتها إليهم؛ لبيان أخلاقهم المذمومة، وأنها السبب الرئيس فى صد المسلمين ومنعهم من إقامة شعائرهم.

-كما تكررت لفظة (المخلفين) فى ثلاث آيات[١٠١]. إظهارًا للذم، وتأكيدًا على بشاعته، وكأنه كلما تكررت هذه اللفظة توالى عليهم هذا الوصف. وقد جاء هذا الوصف مقرونًا بـ (من الأعراب) فى موضعين؛ بيانًا لكونهم أعرابًا[١٠٢]. والوصف هذا يتناص مع قوله تعالى: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٩٧].

-وكررت لفظة المثلية مرتين فى قوله تعالى:{مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ}[الفتح:٢٩]؛ والمقصود وصفهم الذى جرى مجرى الأمثال فى التوارة والإنجيل، أى ذلك مثلهم الوارد فيهما؛ فجىء بأسلوبية التكرار توكيدًا على ذيوع صفاتهم، وكأن هذا أصبح عرفًا وسيما لهم.

-تكررت لفظة الإيمان مرتين فى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم}[الفتح: ٤]. حيث إن ثبات الإيمان سبب فى النصر، وقد جعل الخطاب القرآنى ازدياد الإيمان مع الإيمان مسببًا عن نزول السكينة، وكأن الواحد الفرد منهم مع تزايد الإيمان صار مجموعة، لذا ضمن الخطاب لفظ المعية (مع)، وهذا يدل على رسوخه وثباته مع قوته وعظم شأنه.

– ثمة دورٌ رئيس للأنساق المتكررة، لا من حيث هى ملامح دالة فقط، بل من حيث توزيعها المكانى حيث تكررت لفظة المؤمنين والمؤمنات فى تسعة مواضع(١٠٣) متنوعة فى الإخبار والدلالة، فقد جاءت فى إنزال السكينة عليهم، وفى وعدهم بالجنات وتكفير السيئات، وفى ظن المخلفين فيهم السوء باستئصالهم، وعدم نصرهم وانقلابهم إلى أهليهم، وفى نيلهم رضا الله بالمبايعة، وفى وعد الله تعالى لهم بالمغانم الكثيرة؛ ليجعلها آية لهم، وفى ثباتهم وإلزامهم كلمة التقوى، هذه السبعة مواضع السابقة كانت فى مؤمنى المدينة. وقد جاء الموضعان الآخران فى الآية (٢٥) فى مؤمنى مكة الذين لم يتح لهم الهجرة فى قوله تعالى:{ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}، وقد كانوا المانع من قتال كفار مكة؛ خوفًا من قتل المؤمن أخيه دون أن يعلم أنه على إيمان، فيحلق الكفار المؤمنين معرة قتل إخوانهم.

– وإذا كان هذا التكرار صريحاً فقد جاء مكنياً عنه فى قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ}، وقوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، مفصلًا سيماهم، وصفاتهم الثابتة المعروفة فى التوارة والإنجيل.

– تكررت لفظة:(الرسول) ثمان مرات(١٠٤). وقد جاءت فى موضعين بلفظة: (رسول)، وفى ستة مواضع بلفظة: (رسوله)، أما الموضعين الأولين فهما فى قوله تعالى:{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا}[الفتح:١٢]، وقوله تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}[الفتح:٢٩]، وفى تعريف الرسول فى الموضع الأول؛ لمعرفتهم إياه أنه الصادق القول، الذى لم يجرِ عليه كذبٌ قط؛ ليعلموا أن رؤياه عليه الصلاة والسلام حق، فهى لتذكيرهم وتنبيهم بهذا من جهة، ومن جهة أخرى للتقريع والتوبيخ؛ فكيف بمن علمتم صفاته، وأنه الرسول الحق وتظنون به تلك الظنون، ويزين ذلك فى القلوب، وتؤيده الأفعال بتخلفكم عنه؟!. أمّا فى الموضع الثانى فهو توكيد لرسالته كأن الخطاب القرآنى قال: هو محمد الذى من شأنه أنه رسول الله،

والذى رؤياه هى الحق، والذى تخلفتم عنه، والذى أيده الله بالفتح المبين، والذى ظهر دينه على الدين كله؛ لذا حذف المسند إليه؛ لتوالى تلك الأخبار عليه صلى الله عليه وسلم؛ بيانًا أن المتحدث عنه هو رسول الله الذى تلك مناقبه، إضافة إلى ذلك أنه أنزل المتلقى منزلة المتسائل من هو؟ فيجاب عليه بتلك الصفات فيجعل السامع متأهبًا لمعرفة صفاته صلى الله عليه وسلم.

- وأما عن الستة مواضع الأخرى، ففى ثلاثة منها عن الإيمان بالله ورسوله ووجوب طاعته، وفى الثلاثة الأخرى؛ جاء الموضع الأول منها لإنزال السكينة. والثانى: لإعلان صدق رؤياه. والثالث: إظهار دين رسول الله على جميع الأديان، وبالتالى حقق التكرار التماسك فى الخطاب بأسره متبعًا أسلوبية الترتيب عنوانًا له.

- تكررت لفظة: (عظيم) ثلاث مرات[١٠٥]. وجاءت فى سياق طاعة المؤمنين ومبايعتهم الله ورسوله، ومن ثم كان لثباتهم جزاء عظيم، وقد قرن وعد الله تعالى لهم بالأجر العظيم بصفة الجنات التى يدخلونها. وفى الموضع الثانى جاء فى سياق الوفاء بالعهد. والثالث: فى سياق الوعد بالمغفرة مقرونة بالأجر العظيم، ونرى مع هذا التكرار تكرارًا آخر هو:(الأجر) الذى وصف بالعظمة مرتين فى الثلاث آيات السابقة، ومرة بالحسن فى قوله تعالى:{ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا}[الفتح:١٦]، وهذا يؤكد قوله تعالى: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

-تكرر الاسم الأعظم: (الله) فى سورة الفتح تسعًا وثلاثين(٣٩) مرة[١٠٦] خلال عدد آيات السورة البالغ تسعًا وعشرين آية. والآيات التى خلت من اسم الله الأعظم (الله) ثلاث آيات[١٠٧] هى:(٨، ١٢، ٢٢)، ولكن الآية رقم(٨)، جاء فيها اسم الله بـــالضمير (نون المتكلم) الدال على العظمة مرتين فى قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}[الفتح:٨]. وهذا يدل ويؤكد على حقيقة سورة الفتح/ الجهاد، وأن النصر كان مبينًا، وإسناده إليه-عزوجل-

إسناد عزيز مقتدر، لاغالب له، ولا مانع من حكمه، إذا قضى أمراً كان له الغلبة والظهور، إضافة إلى سيمانطيقا الخطاب وانبثاق النصية الذى يعززه إحالة الضمير عليه سبحانه- سواء كان ظاهراً أو مضمراً – فى أربعة وخمسين موضعاً(١٠٨). هذا التكرار المعجز ليس تكراراً للمعاني، حيث يمكن الاستغناء عنه فى بعض المواضع من دون أن يطرأ خلل على سياق السورة، بل جاء لبث الثبات وإنزال السكينة ترغيباً وترهيباً، تبشيراً وإنذاراً، رضاً وعقاباً، وعداً ووعيداً، إنزالًا وجعلًا، نصراً وسحقًا. وهذا يؤكد على أن أسلوب السورة محكم السرد، دقيق السبك، نظمت ألفاظه، ونسقت جمله، فى بنية منبعها الانسجام.

ثالثا: التكرار بالفعل:

-تكرر الفعل: (أراد) مرتين فى قوله تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا}[الفتح:١١]، وقد جاء فى سياق خلق الحجج الكاذبة التى ابتدعها المخلفون لتخلفهم عن رسول الله، ومن ثم طلبهم الاستغفار من رسول الله، وقولهم هذا لم يجاوز إلا ألسنتهم؛ لذا أتبعها بالإجابة إيهاماً فى إطماعهم بالمغفرة، فمن يملك لكم من الله شيئًا، إن أراد بكم الضر أو أراد بكم النفع، وقدم المضرة؛ تخويفًا لهم بأنها قد تكون أسبق إليهم، فقد كانوا قوماً مؤمنين. والأسلوب على فن (اللف)، والأصل التركيبى: قل من يملك لكم من الله إن أرد بكم ضراً، ومن يدفع عنكم المنفعة إن أراد بكم نفعا. ثم عطف عليها معمماً ملك الله مطلقاً مكرراً لفظة: (يشاء) ثلاث مرات فى قوله تعالى: {ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما}[الفتح:١٤]، وقوله تعالى: { لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}[الفتح:٢٥]، مسنداً إليها المغفرة والرحمة أولًا، ثم العذاب؛ تحبيباً وترغيباً فيها. وقد جاء هذا التهديد لتلك الفئة التى تخلفت عن رسول، وظنهم فى نصرة رسول الله، ورجوعهم إلى أهليهم؛ لذا كرر فعل الظن مرتين، والمفعول المطلق المبين لنوع الظن؛ وهو ظن السوء فى قوله

تعالى:{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ}[الفتح:١٢]. وأعقبها بتكرار لفظة: (النكث) مرتين: {أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}، للتحذير من مغبة نكث العهد الذى لا يعود إلا على صاحبه. ومن ثم أتبعها بالملكية المطلقة لله، وهو المختص بالمغفرة إطماعاً فى رحمته، وقد جاء الفعل (يغفر) مرتين[١٠٩]؛ فى تمام الكمال لرسوله، ونيله الدرجات العليا بمغفرته له، وفى سياق المغفرة لمن يشاء من عباده، فقد كان المتخلفون أهل إيمان لكن نالتهم قلة عزيمة، وزوال سكينة، فرغّبهم بالتوبة؛ معللًا ذلك بأنه أهل لها. والقادر على المغفرة هو القادر على العذاب، وإذا كان سياق السورة هو النصر والجهاد فإن هناك منافقين مردوا عليه؛ لذا اقترن بها-أيضا- سياق التهديد لهؤلاء، فجاء العذاب: (ثمان مرات)[١١٠]، فى سياق الردع لهؤلاء. وخص الآيات:(١٦، ١٧، ٢٥) بتكرار المصدر والوصفية: (يعذبه/ عذابًا أليمًا)؛ لأنه قُرن بالإعراض والتولى عن نصرة رسول الله. لا سيما أن فعل التولى قد جاء فى ثلاثة مواضع فى الآيتين: (١٦،١٧)، مقروناً بالعذاب. أما مع الفريق الآخر الذى آمن بالله ورسوله فقد تكرر الفعل: (يبايع) فى ثلاثة مواضع[١١١]، وفيها إعلان من الله تعالى أن البيعة والمعاهدة هى لله تعالى، وأنه تعالى قد رضى عنهم؛ لذا زادهم إيماناً مع إيمانهم، وأنزل السكينة فى قلوبهم، وجعل النصر حليفاً لهم، وأثابهم فتح بلاد خيبر التى جعلت عنوانًا للمغانم، وقد قُرن ذلك بتكرار الفعل: (وعد) مرتين[١١٢]؛ لزيادة فاعلية الأجر بتكرار الوعد مع اسمه الأعظم (الله).

رابعًا: التكرار بالجملة:

جاء التكرار بالجملة فى سورة الفتح فى عدة مواضع؛ قوله تعالى:{ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح:٢].{وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[الفتح:٢٠]. بخطاب الرسول فى الموضع الأول، والمؤمنين فى الثانى، وأشار فى الموضع الأول إلى علة الفتح المبين، وفضل الله على رسوله بالهداية

والمغفرة، والرفعة التى منّ الله عليه بها. وفى الموضع الثانى؛ لبيان وعده للمؤمنين بالمغانم الكثيرة؛ حتى تكون آية وهداية؛ لذا وصفها بـ [الصراط المستقيم]؛ لإظهار صدق الإيمان، وعدم الحياد والزيغ عنه، وقد كان هذا من علامات ثباتهم على مبايعتهم رسول الله، وكان جزاؤهم تكرار جملة: {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}[الفتح: ١٩]، بالغيبة مرة، وبالخطاب أخرى {مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا}[الفتح: ٢٠] أما خطاب الغيبة؛ لأن الضمائر فيها جاءت على وتيرة واحدة: (قُلُوبِهِمْ، عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ)، وجاءت الآية التالية لها بالخطاب:(وَعَدَكُمُ، تَأْخُذُونَهَا، لَكُمْ، عَنْكُمْ، وَيَهْدِيَكُمْ)؛ وكان التكرار توكيداً لهم على هذه الأمور الغيبية، فقد جرت السورة مجرى الإخبار بالغيب عن هذه الوقائع. ويؤيد ذلك تكرار: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[١١٣]، وقد جاءت فى سياق وعد المؤمنين بالجنة، وإبدال سيئاتهم حسنات، وأن طاعة الله تعالى هى الفوز العظيم. هذه الطاعة والثبات منّة الله عليهم، فقد ثبّت قلوبهم بالسكينة؛ لذا كرر الفعل بها مرتين[١١٤]:{أَنْزَلَ السَّكِينَةَ}؛ ليزدادو يقيناً إلى يقينهم، ويحل الأمن بعد الخوف، والرضا بعد الغضب، وكان قضاؤه ذلك؛ ليعلم المؤمنين نعمته عليهم فيشكروها، وليعلم أهل الظن أن إرادته نافذة. وهذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين؛ لذا تكرر قوله: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} مرتين أيضا[١١٥]، عقب وعد المؤمنين بالنصر العزيز، وكان مفتاحه الرئيس إنزال السكينة عليهم، لذا ختمه بالعليم، فالعلم صفة جامعة مطلقة، فقد علم ما حلّ بهم فأثابهم نصراً بتقديم مسبباته. وجاء التكرار -أيضا- عقب الوعيد بتعذيب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا السوء، لذا عقبه بـ(العزيز الحكيم)، فهذه النصرة كانت بيد عزيز غالب على أمره، لا يمتنع عليه شىء، فخولف الختم لمخالفة إنزال الجنود، فهى فى الآية الأولى جنود رحمة ووعد بالفوز، وفى الآية الثانية جنود عذاب، ووعيد. وقد تكرر الختم بقوله تعالى:{ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} مرتين[١١٦]، فى سياق تعذيب المنافقين، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفى نصر المؤمنين، وأخذهم مغانم

وصفت بالكثرة، وقد ختم بذلك؛ فالعزيز غالب على أمره، قادر على نصر من يشاء، وإذلال من يشاء، حكيم فى نصرتهم بعيداً عن إعانة هؤلاء المنافقين لهم، فقد كان عونهم ضعفاً، وقدرتهم عجزاً، ونصرهم- إن وجد- هواناً. ومن هنا يظهر الغرض من تكرار قوله تعالى:{ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ}[الفتح:٢٠]، فقد جعل تعالى المغانم آية للمؤمنين؛ إظهاراً لهم على المخلفين والمشركين، والسياق التكرارى لتأكيد فوز المؤمنين فى قوله:{ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ}[الفتح:٢٤]، حيث جاء فى سياق حظر القتال على الفريقين، وقد قيده تعالى بقوله: {مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}، فقد كان المانع خيراً لهم من حيث لا يعلم بعضهم.

ومن هنا يظهر علة تكرار قوله تعالى بالتخصيص: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا}.[الفتح:١١]، وبغير التخصيص: {سَيَقُولُ(-) الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ }[الفتح:١٥]. ومرجع التخصيص فى الموضع الأول؛ أن طلبهم الاستغفار لعدم الخروج لم يصدر عن صدق قريحة، ولا نفس مؤمنة، بل كان مدعوماً بطرف اللسان، غير متمكن من طبيعة قلب صادق. أما فى الموضع الثانى فكان صدوره عن رغبة قوية؛ فلم يأت بالفصل؛ نظراً لتعلق القلب وشغفه وتلهفه بالمغانم الكثيرة التى يريدون التمتع بها دون قتال؛ ويدعم هذا تكرار الفعل: (سيقول) ثلاث مرات بالمضارعة؛ لبيان نواياهم، فقد كانت الإجابة حاضرة فى أذهانهم، فحين سألوا المؤمنين:(ذرونا نتبعكم)، وكان الرد عليهم بعدم الاتباع، كان جوابهم أن ذلك مرجعه حب المؤمنين للغنائم، وعدم رغبتهم فى مشاركتهم إياها، وهذا من قبيل الحسد حيث ترجموها بمقولتهم:(بل تحسدوننا)، وفنّده الخطاب القرآنى بأسوبية الإضراب:(بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا).

النمط الثانى: التكرار بالترادف

-جاء التكرار بالترادف فى قوله تعالى:{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}[الفتح:١٧]، جاءت جملة:(لا تخافون) في موضع الحال مؤكدة لـــ(آمنين) تأكيداً بالمرادف، للدلالة على أن الأمن كاملٌ محقق، والمعنى: آمنين أمن من لا يخاف، وذلك إيماءٌ إلى أنهم يكونون أشد قوة من عدوهم الذي أمنهم، وهذا يومىء إلى حكمة تأخير دخولهم مكة إلى عام قابل حيث يزدادون قوةً واستعداداً وهو أظهر في دخولهم عام حجة الوداع(١١٧).

-كما جاء فى قوله تعالى:{ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا }[الفتح:١٢]، جاء الخطاب بإعادة لفظة:(الكافرين) الذى يؤكد(من لم يؤمن بالله ورسوله)، والداعى لها التحذير لتلك الفئة التى تخلفت عن رسول الله، وأنهم إذا استمروا على ذلك خرجوا عن دائرة الإيمان، فحذرهم تخويفاً وتحذيرا. وقد يكون الخطاب عامة لكل من خرج عن دائرة الإيمان.

ويحقق التكرار بنوعيه الإيقاع الصوتي مع الإيقاع الدلالي. فالتكرار بما يحمله من خصائص فنية كالتوازن الإيقاعي، وجودة الموقع، وتنشيط الذهن وتوقد المشاعر، وخصائص دلالية كالتوكيد، وكسر للمعهود، وتوقع اللامنتظر، وتقوية الملفوظ؛ فهو تركيبٌ لغوي متماسك منضبط، يعمل الوصل فيها عمله بإضافة أداة أو كلمة أو جملة أو أكثر، وتلك الضميمة تشكل انسجاماً بين التغاير والتماثل.

المطلب الثانى: فاعلية التذييل التوكيدى وتعالق البناء النصى.

التذييل أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق. وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله(١١٨). وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه فهذان وجهان، الوجه الأول أن يكون سوقه من أجل تأكيد منطوق الكلام، والوجه

الثانى أن تكون الجملة الثانية مسوقة من أجل تأكيد مفهوم الكلام[١١٩]. والفرق بينه وبين التكميل، أن التكميل يأتى لاحتياج الكلام إليه، مع أن الكلام قبله تام، إنما مرجعه ليكمل بها حسنه. وأما التذييل فعن طريقه يتحقق السابق عليه، منطوقًا ومفهومًا، ويزداد توكيدًا.

-ومنه قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}[الفتح:٤]، وقد أكد مفهوم ما قبله؛ حيث بيّن ألّا عجب فى فتح الله تعالى لعباده، ونصره لهم، لاسيما هذا النصر كان مقرونًا بإنزال السكينة فى قلوبهم، وأن يد الله تعالى فوق أيديهم، فله القوة الغالبة، والسلطة النافذة، فى ملكوت سمواته وأرضه، ومرجع ذلك تذييل آخر هو علمه بأسباب الفتح، وحكمته التى اقتضت جعله فى وقت مناسب. ومثله:{ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً}[الفتح:٧]، فكونه تعالى إلهًا يستدعى كونه عزيزًا حكيمًا قادرًا، فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

وجاء التذييل تحقيقًا لمفهوم ما قبله فى قوله: { كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}[الفتح١١]، وهو يحمل معنى التهديد لقول المخلفين رياءً ونفاقًا: (استغفر لنا عدم خروجنا)، والله خبير بقلوبهم؛ عليم بأفعالهم. لكنه تعالى كونه قادرًا على العذاب يستدعى مقدرته على المغفرة؛ وهذا مرجعه عزته وحكمته؛ لشمول ملكه للسموات والأرض؛ لذا ذيل الخطاب القرآنى:{ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً}[الفتح:١٤]، بإظهار اسمه الأعظم ترغيبًا وتحبيبًا للتوبة، والسعى إليها.

وجاء التذييل فى قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح:١٧]؛ إذ جعل طاعة الله فى قوله: (لقد رضى الله عن المؤمنين)، وطاعة الرسول: (إذ يبايعونك تحت الشجرة) علامة على دخول الجنة فى هذه الآية، وهذه الجملة تذييل لمنطوق الكلام فى قوله: {فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً}[الفتح:١٦].

وجاء قوله تعالى: { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً}[الفتح:١٩]، تذييلًا لمفهوم

قوله:(وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}[الفتح:١٨، ١٩]، حيث إن أسباب الفتح، وما تسبب فيه من مكاسب ومغانم كان نتيجة لعزة الله التى لا غالب لها، فقد نصرهم بعزته، وقهر عدوهم بغلبته. والحكمة–فى ذلك– هو اختيار زمن مناسب للنصرة، حيث تضاعف قوتهم، وثبات عزيمتهم، لئلا يظن المتلقى فى التواكل، بل أثبتت وأقرت تمام التوكل بأخذ الأسباب. وقد كان التوكل سبباً فى المغانم الكثيرة التى وعدهم الله بها، وقد كانت هذه المغانم تارة فى مقدرتهم، وتارة خارجة عنها، وقد جعلها الله تعالى لهم، وقد ذيّل ذلك بجملتين، الأولى للمنطوق: (قد أحاط الله بها) تحقيقًا لقوله: (وأخرى لم تقدروا عليها)، ثم أتبع ذلك بما يشمل الخطاب قبله مطلقاً:(وكان الله على كل شيء قديراً).

وكان القهر لأعداء الله سنةً أطلقها الخطاب القرآنى على ذلك (سنة الله)، فى وعيده وتهديده لغيرهم بالقهر والغلبة لرسله؛ لذا جاءت بأسلوبية التحقيق: (التى خلت من قبل)؛ وذيل لمنطوق الكلام بأسلوبية الاستقبال: {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}[الفتح:٢٣]، فأفاد مطلق التوكيد أن سنته لا تبديل فيها ولا تغيير. وقد عقّبه بآخر بعد سياق الكف عن القتال لصالح الفريقين، وقد كان دافع (عدم الكف/ القتال) موجوداً بقرينة دخولهم (ببطن مكة)، ومع ذلك وجد المانع مذيّلًا مفهوماً من الخطاب:{وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}[الفتح:٢٤]، فهو تعالى قد أحاط علماً بجميع المرئيات فيعلم رغبة الصحابة فى دخول مكة، ويرى حال المؤمنين فى مكة الذين لولا كف الله للفريقين لهلكوا، ولعلّ هذا هو المانع من دخولهم مكة هذا العام الذى سجله الخطاب القرآنى: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الفتح:٢٥]. وقد جاء بتذييل آخر يعلل ذلك الكف، ويحقق مضمون ما قبله:{ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}[الفتح:٢٥].

ثم يأتى تذييل آخر فى سياق جعل الحمية فى قلوب الكافرين، وإنزال

السكينة فى قلوب المؤمنين؛ وعلة ذلك إلحاق الشيء بأهله، وقد أحاط الله علمًا بقلوب الخلائق؛ لذا ذيّل بقوله: { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}[الفتح:٢٦]. ومقتضى علم الله تعالى إرسال الرسل، وإظهار الحق، وإبطال الباطل؛ لئلا يكون حجةً عليه تعالى، وقد كان هذا الفتح، وإظهار دين الله، وتصديق رؤيا رسول الله فتحًا مبينًا، وقد ذُيل بقوله تعالى: { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }[الفتح:٢٨]؛ وكفى به شهيدًا على كونه رسولًا، وأن دينه دين الحق الظاهر على جميع الأديان. وفيه تسلية لرسول الله والذين معه حين رد الكفار العهد المكتوب عليهم قائلين لا نعلم أنه رسول، وأبوا كتابتها، وإنما كتبوا (محمد بن عبد الله).

وقد جاء التذييل فى سورة الفتح على ضربين؛ قسم أخرج فيه الكلام مخرج المثل، وقسم جيء به تحقيقًا لمضمون ما قبله، وكلاهما حمل التوكيد سواء كان منطوقًا أو مفهومًا. هذا الارتباط يبين السّدى الذى يشدّ الجمل بعضها إلى بعض، يحول الملفوظ إلى كتلة واحدة هى النص.

المطلب الثالث: الاعتراض التوكيدى ونظرية التأثير.

الاعتراض، اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه(١٢٠). وينقسم إلى قسمين؛ أحدهما: لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جارٍ مجرى التوكيد. والآخر: يأتي في الكلام لغير فائدة، وإما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفى معناه فساداً(١٢١).

وقد جاء الاعتراض فى مواضع كثيرة محققًا أغراض عدة؛ منها التوكيد مثل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}[الفتح:٤]، وقد اعترض بين قوله تعالى:{ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}، و{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[الفتح:٥]، وجاء لتأكيد أن الله تعالى قد جعل للنصرِ مفتاحاً؛ منها إنزال السكينة فى قلوب المؤمنين، وثبات عزيمتهم، سبباً فى ازدياد إيمانهم، وتكفير سيئاتهم، مؤكداً الاعتراض بالتذييل؛ لعلمه الشامل المطلق لزمن النصر المناسب، ولحكمته

التى تقتضى مطلق علمه. وقد ذيل الخطاب الاعتراضى فى قوله تعالى:{ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيماً}.[الفتح:٥].

وجاء قوله تعالى:{ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}[الفتح:٩]، معترضاً بين قوله تعالى:{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً}[الفتح:٨]، وقوله:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}[الفتح:١٠]، إذا كان الخطاب للناس، وتكون (اللام)، فى (لتؤمنوا)، للأمر. أما إذا كانت اللام للتعليل، فالخطاب فى قوله:(لتؤمنوا) للرسول وأمته، ويكون متعلقاً بالفعل:(أرسلناك)؛ لبيان علة إرساله شاهداً على الناس، ثم مجيء الوصفين؛ التبشير بالوعد بالجنة، والإنذار بالوعيد بالنار. ويرجح البحث كون الخطاب تعليلًا.

وجاء قوله تعالى:{ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}[الفتح:١١]، معترضاً بين قوله:{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا}، وقوله: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}، أخبر الخطاب القرآنى عما سيقوله المخلفون ويبدونه من أعذار مستقبلًا، وقد كان الإيمان غير متمكن فيهم، فبيّن أن اعتذارهم عن تخلفهم ليس عن قريحة ورغبة صادقة، وإنما ذلك لم يتجاوز اللسان، إخباراً عن كذب دعواهم، وتوكيداً على اختلاقها، وأن الإيمان غير مخامرٍ لقلوبهم.

وجاء بالمنطوق الاعتراضى: { وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً}[الفتح:١٣]، بين قوله:{ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا }[الفتح:١١]، وبين قوله: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[الفتح:١٤]، لما كان المخلفون عن رسول فئة مسلمة ادعت الأعذار، وكانت معذرتهم عن الخروج أباطيل واهية لا أساس لها، حذرهم القرآن الكريم ألّا يعودوا لمثله، وأنزلهم بهذا الاعتراض منزلة من خلع إيمانه، وألبسهم لباس الشك فيه؛ لذا جيء بأسلوبية التوكيد؛ ردعًا لهم.

وجاء الخطاب القرآنى: {كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} [الفتح:١٥]، بين جملتى: {قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا}، و{فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا}؛ لتأكيد النفى فى قطع

أطماعهم فى الخروج معهم للقتال، وإنما طلبوا الخروج ليقينهم بنصر المسلمين؛ يبرهن على ذلك قولهم: {بــل تحسدوننا} الناشئة عن سوء الظن بهم، أى عدم الأمر بالخروج معكم حسداً منكم ألّا يصيبنا من المغانم التى اغتنمتموها. أما الاعتراض فقد كان من الإخبار بالغيب فقد أخبرهم الله عزوجل من قبل يوم الحديبية بجملة قولهم هذا، يبرهنه حذف متعلق: (تتبعونا)، والتقدير: قد أخبرنا الله عما تقولونه من قبل أن تطلبوه.

–وجاء الخطاب لأصحاب الضرارة: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}[الفتح:١٧]، معترضاً بين قوله تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح:١٦]، وبين قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[الفتح:١٧]. تنصيصاً على نفى الوعيد عنهم، وقبول العذر منهم، واتجاه الخطاب إليهم يؤكد تشديد الوعيد على غيرهم من المخلفين.

– وجاء الاعتراض مبيّنًا عناية الله بالذين بايعوه فى قوله: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} [الفتح:١٨]، والفاء هنا ليس للترتيب والتعقيب؛ فعلم الله تعالى بهم واقع أزلًا، والتقدير: أن الله علم ما حلّ بقلوبهم من ضيق وغم برجوعهم غير معتمرين، فأنزل الله سكينته عليهم، ومنّ عليهم بنصر قريب. والاعتراض؛ لإعلامهم أن الله تعالى محيط بهم، عليم بأسرارهم؛ لمزيد الاهتمام، ووقوع الطمأنة فى نفوسهم. وقد جاء قوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً}[الفتح:١٩]، اعتراضاً وتذييلا؛ لتأكيد مضمون: {وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}[الفتح:١٩،١٨]، ثم جاء قوله: {وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [الفتح:٢٠]، والمعنى: ليكون الكف آية للمؤمنين، أو يكون المعنى: وعدكم المغانم، فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها، ولتكون آية للمؤمنين؛ إذا وجدوا وعد الله بها صادقا، لأنّ صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية، ويزيدكم بذلك هداية ويقيناً"(١٢٢). ويجوز أن تكون الواو عاطفة، والمعنى: ولتكون هذه المغانم آيةً للمؤمنين منكم، وأنه موفٍ لهم ما وعدهم، وضامنٌ

لهم نصرهم كما ضمن لهم المغانم القريبة والنصر القريب[١٢٣].

– كما جاء قوله تعالى: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ}[الفتح:٢٥]، معترضاً بين قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[الفتح:٢٥]، وقوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}[الفتح:٢٦]. بعد سياق النعى على المشركين صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، مع أخذهم الهدى؛ لمنع الدماء، وإقامة الشعائر، ثم جاء الخطاب القرآنى بالتنصيص على أن الله تعالى كف أيدى المؤمنين عنهم؛ رحمةً بهم، وبقوم مؤمنين لا يعلمونهم، ولو قاتلوهم لهلكوا، ولحق بالمؤمنين سوء فعل قتل إخوانهم؛ لذا جىء بأسلوبية الامتناع، والمقصود: لولا رجال مؤمنون بينهم لعذبنا الذين كفروا.

كما جاء الاعتراض فى قوله تعالى: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ}[الفتح:٢٧]، وقد قال الزمخشرى: فإن قلت ما وجه دخول (إن شاء الله) فى أخبار الله تعالى؟ كانت الإجابة من وجوه؛ تعليماً لعباده أن يقولوا مثل ذلك، متأدبين بأدب الله. وإرادته: لتدخلن جميعاً –إن شاء الله– لم يمت منكم أحد. أو هى حكاية عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حين قصّ على أصحابه[١٢٤]. والاعتراض يضفى على الخطاب تحقيق دخولهم جميعاً واصفاً حالهم من الناحية المعنوية والجسدية.

المطلب الرابع: الاحتراس وتوجيه قصدية الخطاب

الاحتراس: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك، والفرق بين الاحتراس، والتكميل، والتتميم، أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه؛ إما بفن زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً[١٢٥]. وينتج من هذا أن الاحتراس زيادة إطنابية تأتى لدفع توهم يخالف قصدية

المتكلم. ويأتى ذلك فى سورة الفتح؛ لدفع توهم متلق يفهم خلاف المقصود، ويؤكد معنى يتقصده الخطاب القرآنى؛ لإبراز صفة وُسم بها المؤمنون فى قوله تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[الفتح:٢٩]، والمقصود أنهم أشداء على أعدائهم، وفيهم الغلظة عليهم. وفى المقابل فإن صفاتهم الرقة واللين والرحمة مع إخوانهم، ولو اقتصر الخطاب على لفظة: (أشداء على الكفار) ربما توهم المتلقى أن الغلظة والشدة صفة مطلقة فى تعاملهم، فدفع هذا التوهم بمجىء الصفة الأخرى، ويتناص ذلك مع قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } [المائدة: ٥٤].

–ومنه قوله تعالى:{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}[الفتح:٢٧]. فى قوله تعالى: (لا تخافون)، احتراسًا –على جهة كونه حالًا موسسة– فقد يتوهم البعض أن الدخول فيه أمن، فماذا بعد الحلق والتقصير، فقال: (لا تخافون) استمرارًا للأمن؛ فيستدعى الخطاب: تدخلون آمنين ويبقى أمنكم بعد خروجكم من الإحرام. أمّا إذا كانت حالًا مؤكدة للفظة (آمنين) فلا احتراس فيها، وهو لتأكيد كمال الأمن.

– قوله تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}[الفتح:٢٤]. فقوله تعالى:(من بعد أن أظفركم عليهم)؛ احتراس؛ لئلا يتوهم أن الكف كان هزيمة للمؤمنين، فتقرر أنه كان نصرًا برجوعهم إلى أهليهم سالمين، وكف أيديهم عن إخوانهم المؤمنين الذين لا يعلمونهم فتصيبهم من جراء قتلهم معرة.

–قوله تعالى:{ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الفتح:٢٥]، فقوله تعالى: (لم تعلموهم) احتراس؛ لبيان سبب المانع الحقيقى من قتالهم، فالنفى هنا لبيان عدم علمهم بأنهم مؤمنون، لذا فإن وطأتكم إياهم تسبب لكم سوءًا بغير علم ، أدى إلى

وقوعه عدم العلم الأول بالإيمان. هذا الربط والارتباط فى النص القرآنى قائم على تضاعف الإحساس وتعميقه، فى ظل طيات حركة العلاقات المتبادلة بين الجمل. وهى حركة دائمة الاطراد يدفعها القارىء حتى يصل بها إلى البناء الكلى للنص.

المطلب الخامس: التكميل وتنامى الأحداث

وهو أن يأتى المتكلم بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه، ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى غير كامل، فيكمله بمعنى آخر. فالمعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى(١٢٦). والتكميل استيعاب الأجزاء التى لا توجد الماهية المركبة إلا بها(١٢٧). وجمع معظم البلاغيين بين مصطلحى التكميل والاحتراس، قال القزوينى: "وأما التكميل ويسمى الاحتراس- أيضا- هو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه(١٢٨). ولكن التكميل يرد على المعنى التام فيكمل وصفه؛ ليزداد حسنا. والاحتراس يرد على المعنى الموهم خلاف المقصود فيدفعه ويزيله. ومن الممكن أن يجتمع الغرضان فى أسلوب واحد.

-ومنه قوله تعالى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا} [الفتح: ١٢]، جاء الخطاب القرآنى تكميلًا لهيئة المخلفين عن رسول الله، حينما ذكر المتخلفون أسباب تخلفهم عن رسول بانشغالهم بأموالهم وأهليهم، كان الجواب الإلهى: (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم)، وهنا ذكر السبب الحقيقى، وهو ظنهم بهلاك الرسول ومن معه، وهذا ما يتمه المعنى عند قوله: (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون)، ثم جاء بما يكمله بذكر متعلقاته: (إلى أهليهم)، ومعلوم أن الرجوع يكون إلى الأهل، وإنما ذكره القرآن تمكينًا واحتواءً، فالأهل مهبط الأمان، وزاده تكميلًا: (بالظرفية الزمانية/أبدًا)، المتعلقة بلفظة: (ينقلب)؛ إيمانًا منهم أن استئصال العدو لهم أمرٌ لا مراء فيه، مبالغة فى معتقدهم، وإيمانهم

به، وتصرفهم وظنهم السوء على نهجه. وختمه بالدعاءعليهم بـــ(الهلاك والبوار)، فوصف القوم بالبوار، مع إمكانية الاستغناء عن لفظة: (قوماً)؛ للتأكيد أن البوار/ الهلاك صار وساماً لهم.

-ومنه قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيباً}[الفتح:٢٧] فهو تكميل لقوله تعالى:{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً}[الفتح:١٨]. فى الآية الأولى أخبر الله تعالى أنه علم ما فى قلوب المؤمنين من كآبة وحزن لعدم دخولهم المسجد الحرام، فعبر عن حالهم وما حلّ ونزلَ فى نفوسهم؛ لذا جاء بالفعل (أنزل) للسرعة فى ذلك، وكان نزول السكينة مناسباً متعالقاً بالقلوب فهو له أنسب، أما فى الآية الثانية فأخبر الخطاب القرآنى عن عدم علمهم الحكمة فى عدم دخولهم المسجد الحرام فى هذا العام: (فعلم ما لم تعلموا)؛ لذا لم يقل هنا: (أنزل السكينة)، وإنما حدث (الجعل) وهو التمكين، ثم كمل بقوله: (من دون ذلك) ويشير القيد إلى: (فتح مكة)؛ بياناً للفتوحات التى وعدهم الله بها، مثل فتح خيبر، وعبر فى الخطاب التكميلى: بـــ(الجعل)، وفى الخطاب الأول: بـــ (الإثابة)، فجعل الفتح مثوبة لهم عن طريق الاستعارة التبعية، بياناً لتعدد الثواب المعنوى والمادى الذى حلّ بهم.

ومنه قوله تعالى:{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً}[الفتح:٢٩].

جمعت البنية التركيبية فى النص القرآنى بين الاحتراس، والتتميم،

والتكميل، فقد فصّل صفات المؤمنين النفسية/ الروحية، والجسدية/ المادية، تفصيلًا يتمم بعضه بعضًا حتى وصل حدّ الكمال. وابتدأ الوصف –احتراسًا– بكونهم أشداء على أعدائهم. وفى المقابل فإن الصفة الغالبة عليهم هى الرقة واللين مع إخوانهم؛ فدفع هذا التوهم بمجيء الصفة الأخرى. ثم أكمل صفاتهم بالوصف التقريرى لأفعالهم مخاطبًا المتلقى؛ لعموم الرؤية واستمراريتها: (تراهم ركعًا سجدًا)، فأخبر بالجزء وأراد الكل، فالصلاة تورث العبد صفات الخير والمحبة؛ لذا أردف بصفة تفريعية أخرى: (يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا)، فجيء بالفضل وهو ترغيب النفس إلى زيادة الخير، ثم الرضوان، وهو تمام الخير بتمام الرضا منه سبحانه، ثم كنى عن الإخلاص فى العبادة بالأثر الجسدى الماثل للأعين تكميلًا: (تراهم ركعًا سجدًا)، و (سيماهم فى وجوهم من أثر السجود)؛ وخصّ (الوجوه) بالذكر؛ إعلامًا ومزية وخصوصية اقترنت بهم، فالوجه محل الرؤية، وبه يظهر الحال. ثم استأنف الخطاب بادئًا باسم الإشارة؛ لبعد منزلتهم: (ذلك مثلهم)، فى الشرائع السماوية؛ لدلالة عمومية وشمولية تلك الصفات للمؤمن فى كل زمان ومكان، موضحًا بالتشبيه التمثيلى تغير حالهم من ضعف إلى قوة، ومن قلة إلى كثرة حتى استحكم أمرهم، وتغلبوا على أعدائهم، وأظهرهم الله تعالى عليهم بحالة الزرع الماثل الرؤية بصورة تكاملية تبدأ متسلسلة مترابطة؛ فالمؤمنون مثل الزرع الذى أخرج فروعه ثم شرع فى تقوية تلك الفروع تدريجيًّا حتى صار شديدًا مستويًّا. وهذه الصفات التى ذكرت تمثيلًا إنما جيء بها مبالغةً فى مدحهم، وتفقدًا لإظهار حال من يرونهم، فيتقاسم الناس الرؤية بعضهم إعجابًا ومدحًا، وبعضهم حنقًا وغيظًا. ثم أكمل ما بدأت به السورة من وعود: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح: ٢٩]؛ لإدخال البشرى عليهم؛ لذا افتتح الخطاب بالوعد، مرتبًا العمل على الإيمان، والأجر العظيم على المغفرة؛ بيانًا وتكميلًا لمسمى السورة ؛ فهى سورة (الجهاد، وسورة الفتح، سورة العمل والأجر).

المطلب السادس: أثر فاعلية التتميم فى إثراء المعنى

التتميم هو أن يذكر الشاعر معنى، ولا يغادر شيئًا يتم به إلا أتى به، فيتكامل له الحسن والإحسان[١٢٩]، وإذا طرح من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته، وهو على ضربين: ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ: فالذي في المعاني هو تتميم المعنى، والذي في الألفاظ هو تتميم الوزن، والأول مجيئه على وجهين للمبالغة والاحتياط. والثانى على ضربين أيضًا: كلمة لا يفيد مجيئها إلا إقامة الوزن فقط، وأخرى تفيد مع إقامة الوزن ضربًا من المحاسن[١٣٠]. وقول ابن أبى الإصبع: "إذا طرح من الكلام نقص معناه"، وقوله: تتميم المعنى للمبالغة والاحتياط"، يفيد أن التتميم أنواع؛ تتميم النقص، وتتميم المبالغة، وتتميم الاحتياط. وهو ما يستفاد من كلام الزركشى: "أن يتم الكلام فيُلحق به ما يكمله؛ إما مبالغةً، أو احترازًا، أو احتياطًا"[١٣١]. وقد حدد العلوى التتميم بكونه فضلة؛ أى المعنى الزائد، قائلًا: تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن[١٣٢]. وهو يختلف عن التكميل فى كون الأول يأتى بعد تمام الكلام؛ لاستيفاء وتكامل أجزاء الصورة، وإعطاء الأحداث ترابطها وتسلسلها. أما التتميم فيؤتى به مبالغة لتحقيق ما سبق من القول، أو تمام نقص، أو الاحتراز من خطأ.

وقد جاء التتميم فى سورة الفتح فى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤]، فقوله تعالى: (مع إيمانهم)؛ زادت قوة الإيمان أضعافًا إلى قوتهم؛ بيانًا لمتانة تلك القوة، وأنها لا يلحقها خور، يقول ابن عاشور:" وجعلت قوة الإيمان بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق؛ لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضم إلى أفراد أخر زادها قوة"[١٣٣].

– كما جاء التتميم فى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠]، حيث جاءت الجملة الحالية: {يدُ الله فوق أيديهم}، مقررة لمضون المبايعة، وحفظًا لها، فالسورة سورة قتال؛ ومن ثم

أظهر الخطاب القرآنى سلطانه، وقهره، وعزته وغلبته.

ونرى تعدد توجيه الخطاب فى قوله تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[الفتح:١١]، كان تخلف هؤلاء عن نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مبايعته فى (بيعة الرضوان) سبباً فى حرمانهم من غزوة خبير بالنهى الصريح: (لن تتبعونا)، وبالتالى كان اعتذارهم لرسول وسؤالهم العفو والمغفرة عن توقع ضر سيلحق بهم إذا خرجوا مع رسول الله، أى لو أراد الله بكم الضر لا يجدى تخلفكم عن رسول الله شيئًا، فأجابهم الخطاب القرآنى: (قل فَمَنْ يملك من الله شيئًا إن أراد بكم ضراً)، والجارى فى مثل هذه التراكيب القرآنية عدم القدرة على تحويل الضر إلى الخير؛ بدليل قوله تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [المائدة: ١٧]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [المائدة: ٤١]. فكان الاقتصار على المعنى الأول أولى وأحرى باعتقادهم، لكنهم كانوا مسلمين. وعن ضعف عزيمة، وسوء نية كان تخلفهم، فجاء الأدب القرآنى بحرمانهم من شهود خيبر وحرمانهم من مغانمها، حتى يتوبوا فيرجى النفع، فجاء بالنفع تتميما لقوة الرجاء فى التوبة، فهى سلاح النفع والمغانم التى يريدونها. أو هو توطئة وتمهيد لقولهم: (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا}[الفتح:١٥]. وحينئذ يكون من قبيل اللف والنشر. وقد جاء التتميم فى قوله تعالى: { كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ}؛ إذ قد وعد الله تعالى ألا يحضر(فتح خيبر)، ويتقاسم مغانمها إلا أهل الحديبية، فجيء بالتتميم إعلاناً بالوعد الحق، ووعداً لأهل الإيمان، ووعيداً لغيرهم.

– كما جاء التتميم فى قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح: ١٨]، وذكر القيد: (تحت الشجرة)؛ تصويرا

لهيئة ومكان البيعة، أى الشجرة المعهودة الذهن التي عهدها أهل البيعة، وهى شجرة السمر أو الطلح، وفى حديث جابر، قال:"كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ"(١٣٤)، وعدم الفرار يعنى الصبر على القتال حتى الظفر أو الموت؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"(١٣٥).

وإذا كان للأماكن دورها الفاعل فى القرآن الكريم فإن هذا الدور يتجلى فى سورة الفتح على جهة الخصوص، فقد ذكر الشجرة مكان البيعة، كما ذكر (بطن مكة) فى قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ }[الفتح:٢٤]، وَقَدْ تكون البطانة: ظهارة، والظهارة بطانة فِي كلام العرب، وذلك أن كل واحد منهما قَدْ يكون وجهاً، وَقَدْ تَقُولُ العرب: هَذَا ظهر السماء، وهذا بطن السماء لظاهرها الَّذِي تراه(١٣٦). يقول الراغب فى تفسير لفظة (البطن)؛ والبطن من العرب اعتبارا بأنّهم كشخص واحد، وأنّ كلّ قبيلة منهم كعضو بطن(١٣٧). وهذا يفسره مبايعة الرسول حقًا وصدقًا، فقد كانوا يداً واحدة. وجمهور المفسرين حملوا بطن مكة على الحديبية من إطلاق البطن على أسفل المكان، والحديبية قريبة من مكة، وهي من الحل، وبعض أرضها من الحرم، وهي على الطريق بين مكة وجدة(١٣٨). وذكر المكان –هنا– إشارة إلى بُعْدِ الكف، ومع ذلك قدّره الله تعالى للفريقين، وذلكَ أنّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرج فى خمسمائة إلى الحديبيةِ فبعثَ رسولُ الله– صلى الله عليه وسلم– خالدَ بنَ الوليدِ على جند فهزَمَهُم حتى أدخلَهُم حيطانَ مكةَ(١٣٩)، ولهذا أوثرت مادة (الظفر) دون النصر؛ فالظفر هُوَ الْعُلُوّ على المناوىء المنازع(١٤٠) وهو أعم من النصر، أي من بعد أن أنالكم ما فيه نفعكم، وهو هدنة الصلح؛ لأن الظفر هو الفوز مع نيل الحظ، ولا يقتضي وجود قتال.

–كما جاء ذكر الظرفية منبئًا عن حال المخلفين فى قوله تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: ١٦]؛ تحذيرًا لهم للعودة

إلى ظنهم السوء، واعتقادهم الباطل، لذا بنى الخطاب على أسلوبية الشرط؛ إن فعلتموهم كما فعلتم (من قبل) يأخذكم العذاب الموصوف بـــ(الأليم) مجازاً؛ لكونه مؤلماً لمن يفعل ذلك منهم.

-قوله تعالى: { وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }[الفتح:٢١]. فالخطاب فى قوله تعالى: (قد أحاط الله بها) قد وقع صفة لـــ (أخرى)؛ وهو لا يوهم خلاف المقصود، فالمؤمنون يعلمون يقيناً أن الله على كل شىء مقتدر، والمعنى: (ومغانم أخرى لم تقدروا على نيلها قد أعانكم الله وأظهركم عليها)؛ لذا ذيله بقوله: (وكان الله على شىء قديراً)؛ إذ هو أمرٌ معلومٌ بالنسبة لهم.

-قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ}[الفتح:٢٥]، فقوله تعالى: (أن يبلغ محله)؛ جىء به احتياطًا وتتميماً لقوله: (وصدوكم عن المسجد الحرام)؛ فكونهم صدوا عن المسجد الحرام يستدعى كون الهدى معكوفًا فى مكانه لا يبرحه، وهذا القيد زاد فى مذمة المشركين العرب الذين اعتادوا قبول زائرى الكعبة، ولكن حمية الجاهلية التى تمكنت منهم؛ لذا ابتدأ الخطاب بالصلة:(هم الذين كفروا)؛ لبيان تغطية الكفر على عقولهم، ومن ثم عدم تمييزهم الذى ترتب عليه صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، ومنعهم الهدى أن يذبح فى مكانه، لذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالنحر فى الحديبية.

– ومنه قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ}[الفتح:٢٧]، فقد جاء قوله:(بالحق) تصديقًا ومبالغة فى قوله: (صدق)، أى صدقًا لا مراء فيه ولا تكذيب، يقول الزمخشرى:" أما تعلق بِالْحَقِّ؟ فمن وجوه؛ إمّا بصدق، أى: صدقه فيما رأى، وفي كونه وحصوله صدقًا ملتبساً بالحق،...، وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص، وبين من في قلبه مرض. ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أى: صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق، على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام.

ويجوز أن يكون بِالْحَقِّ قسماً: إمّا بالحق الذي هو نقيض الباطل. أو بالحق الذي هو من أسمائه"[١٤١]. ومجيء الخطاب على هذا النحو تتميم للمبالغة فى صدق رؤياه صلى الله عليه وسلم، وتصديق الله تعالى لها جعلها واقعاً ملموساً للعيان.

- كما جاء فى قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦]، فجاء بعطف البيان (حمية الجاهلية)؛ تنويهاً لعلة صد الكفار المسلمين عن المسجد الحرام؛ لإفادة تمكن تلك الأنفة التى ترتب عليها الغلظة والقسوة فظهرت آثارها عليهم تشنيعاً لفعلهم. وقد حقق التتميم الوحدة فى المعنى بين الأجزاء التى يربط بينها، فكل جملة تستدعى بالضرورة التى تليها متناولة للعلاقات بين المعلومات المقدمة والأخرى المتأخرة.

المبحث الثالث: أسلوب القصر وتعالق الأحداث

القصر[١٤٢] في اللغة الحبس[١٤٣]، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص؛ وله عدة أقسام، وله طرائقه[١٤٤]. وقد وقع فى سورة الفتح فى عدة مواضع منها:

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}[الفتح:١٠]. والقصر هنا قصر المبايعة والمعاهدة على الله عزوجل؛ وهو قصر الفعل على المفعول، فنزل الهدف منها منزلة الأداة، بادعاء أن غرض البيعة هو نصرة دين الله، فهو قصر ادعائى. وقد أكد هدفها بتكرار القصر بنفس الأداة مهدداً متوعداً من ينقض عهده، ويرتد عن ميثاقه؛ لذا جاء بـ(قصر القلب)؛ أى: قصر النكث على نفس الناكث ذاته، فمدلوله عائدٌ عليه.

- قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيماً}[الفتح:٤]، ذكر الملفوظ فى سياق أسباب النصر وتكوينه، وكان أهمها إنزال السكينة فى القلب، وإنزالها على سبيل الاستعارة التخييلية، فالإنزال شيء من علٍ، لذا كان أحق به من خلقه، فهو وقوع فى القلب؛ وقوع عزيمة وثبات واطمئنان؛ لذا جيء بالمسند إليه معرفة (هـــو الـــذى)؛ لقصر ذلك عليه سبحانه. ومنه قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ} [الفتح:٢٤]، ومجيء المسند إليه معرفة؛ لإفادة قصر المسند إليه على المسند؛ أى هو الذى كفكم عنهم، وكفهم عنكم لا غيره.

– قوله تعالى:{ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[الفتح:١٥] جاء الخطاب القرآنى فى سياق تأكيد كذب المخلفين فيما يقولونه من أعذار كاذبة لتخلفهم عنه–صلى الله عليه وسلم– فى الحديبية، فإن يعلموا أن مغانم قد تحدث بغير قتال يحرصوا على الخروج، ولا تشغلهم أموالهم ولا أهليهم، وقد عبر الخطاب عما لحقهم من مذله بأكثر من أسلوبية؛ الأولى: (مغانم)؛ لتحقيق المنفعة التى تعود من الشيء، وبالتالى تأكيد النصر بلفظة: (ذرونا) التى تحقق إشعاراً بالعلم بمنعهم من القتال. ولفظة: (نتبعكم) التى تعطى معنى الرضا بكونهم أتباعاً، وما يترتب عليه من رضا بأقل المغانم، والمعنى: لا مساواة بيننا وبينكم. لذا أتبعها بأسلوبية النفى: (لـــــن)؛ لقطع أطماعهم فى الإذن، ثم بيّن سوء قولهم، وتغير قلوبهم، وكساد فهمهم: (بالنفى والاستثناء)، والمعنى: أنهم ما قالوا ما مُنعِنا من الخروج إلا لحسدٍ منكم أن يصيبنا من المغانم ما يصيبكم، ما قالوا ذلك إلا لسوء أفهامهم، وقصر أنظارهم، وعدم تمييزها؛ ومن ثم إسقاط ما يشعرون به على غيرهم من ذوى المحاسن.

– قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ }[الفتح:٢٥]. ذكر الخطاب فى سياق ذم الكافرين لصدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وصد الهدى عن أن يبلغ محله؛ لذا جاء

الخطاب بلفظة اسم الموصول: (الذين) بدلا من (هم الكافرون)؛ لوجهين: الأول؛ لقصر جنس الكفر عليهم فى الضمير المنطوق به: (هم)؛ مبالغةً فى الذم والتشنيع. والثانى: مناسبة الأفعال: (كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ)؛ فى تصوير الحدث، وأن الكفر سببٌ فيه. ويذكر السكاكى قولًا فى ذلك:" وأما الحالة المقتضية لقصر المسند إليه على المسند فهي أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ وأنت تريد تقرير صوابه(١٤٥).

-ومنه قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح: ٢٨، ٢٩]. جاء الخطاب القرآنى فى سياق التعريض بمن أغفلوا أن النبى مرسل من عند الله، وأنه إلا وحى يوحى، وأن رؤياه صدق كما أن رسالته صدق فأكد ذلك قوله تعالى: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}[الفتح:٢٧]، وزاد ذلك توكيداً مجىء بالمسند إليه معرفًا معقبًا ذلك بالاسم الموصول؛ لإفادة العلم والتحقيق بمضمون الملفوظ بعدها؛ لذا حذف المسند إليه فى قوله: (محمد رسول الله)، والمعنى للبيان، وإلحاق الأخبار والصفات المتناهية الكمال لمن هو اسمه: (محمد)، ولمن هو صفته: (رسول الله). وقد عبر عنه السكاكى بقوله:" أما حذف المسند إليه فى هذه الحالة؛ لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد"(١٤٦). ومنه قولهم بعد أن يذكروا الممدوح: "فتى من شأنه كذا وكذا"، وبعد أن يذكروا الديار والمنازل "ربع كذا وكذا"(١٤٧). وقد جاء ترابط النص وتعالق بنياته، جامعاً بين الشكل الصوتى/ الجانب الفيزيائى، والجانب التركيبى بما يضمنه من دلالات فى ظل سلسلة متوالية من الأحداث تعلن عن انتظامه وتماسكه.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير ومظاهر انسجام الخطاب.

تظهر أهمية الاختيار أو الانتقاء فى تحقيق الدقة الدلالية، وأعلى

درجاتها حين يتجلى الانحراف في معيار النسق اللغوى، والاتجاه به إلى التعبير عما يرمي إليه المتكلم من مقاصد وفقًا لمراعاة مقتضى الحال والمقام، لحكمة تُطلب وفائدة تُرام، واستعمال اللغة لا يسير فى ترتيب واحد، بل أحيانا يختلف الترتيب تقديمًا أو تأخيرًا، ليؤدى غرضًا بلاغيًّا ما كان ليتحقق لو أنه ظل على وتيرة واحدة وفق قواعد اللغة. وقد يكون التحويل لفائدة ترمى للتوكيد، وهو ما يسعى إليه البحث من خلال تطبيقه على سورة الفتح، وقد جاء فى مواضع منها[١٤٨]:

–فى قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ}[الفتح: ١، ٢]، وتقديم المجرور قبل المفعول المطلق؛ لقصد توكيد علة الفتح، والنصر العزيز، والهداية والغفران، والمنزلة الرفيعة التى شرّف الله سبحانه الرسول صلى الله عليه وسلم.

–فى قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[الفتح: ٤]، تقدم الخبر على المبتدأ؛ لإفادة التوكيد أن النصر من عند الله؛ لذا جمع كلمة جنود، وهى ليس قاصرة على السموات بل جعل للنصر مسببات، وأعظمها إنزال السكينة فى قلوب عباده من جهة، والخوف فى قلوب أعدائهم من جهة أخرى.

–قوله تعالى: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ} [الفتح: ٦]، تقديم:(بالله)؛ على المفعول المطلق؛ لإفادة أن ظنهم فى الرسول؛ لقلة أتباعه، وأنه لن ينقلب هو ومن معه إلى أهليهم؛ لذا عقب السياق القرآنى بتقديم المسند: (عليهم) على المسند إليه:(دائرة السوء)؛ لتشديد الوعيد، ثم قدم الجار والمجرور: (لهم) على المفعول به: (جهنم)؛ تخصيصًا لهم، وبيانًا لعاقبتهم، جزاء لهم عما جنوه من ظن السوء.

– قوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح: ١٠]، تقديم (الجار والمجرور/عليه)؛ للتوكيد، وناسب التقديم لفظة:

(أوفى)، والضمير المستتر فى (عاهد)؛ تأكيد عقد الميثاق الذى أبرمه الرسول مع الذين آمنوا معه.

– قوله تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[الفتح: ١١]، جاء السياق القرآنى بتقديم: (بكم)، فى حالتى الضرر والمنفعة؛ نظرًا لترتيب الضمائر فى الخطاب من جهة: (شَغَلَتْنَا/ أَمْوَالُنَا/ وَأَهْلُونَا/ لَنَا/يَقُولُونَ/ بِأَلْسِنَتِهِمْ/ قُلُوبِهِمْ/ لَكُمْ). تأكيدًا لمن تخلفوا عن رسول الله بسبب اعتذاراتهم الواهية من جهة أخرى؛ لذا قدم ما توقعوه أولًا من ضرر، نظرًا لقلة أتباع الرسول فى ذلك الوقت، وعمم بأسلوبية التقديم: (بِمَا تَعْمَلُونَ)؛ لتوكيد علمه الباطن والظاهر، وقد ختم بما يؤيد ذلك: (خبيرًا)؛ أى الخبير بمكنونات الأمور، العليم بخباياها.

–قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح: ١٣]، جاء كسر النمط بتقديم الجار والمجرور:(للكافرين)، وإظهاره فى مكان إضماره؛ لتحقيق جزاء من لم يؤمن بالله والرسول؛ لذا زاده توكيدًا بـــ (إنّ، والإظهار فى موضع الإضمار، وتقديم اللفظة ذاتها).

–وتقديم أصحاب الضرارة فى قوله تعالى: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} [الفتح: ١٧]؛ تأكيدًا على قبول عذرهم، ونفى الوعيد عنهم، تحذيرًا لغيرهم ممن انشغل بماله وأهله عن رسول الله. يقول البقاعى:" ولأجل تأكيد المعنى تسكينًا لما ثار من روع المؤمن؛ كرر النافي والحرج في كل جملة مستقلة تأكيدًا لهذا الأمر، وجعل كل جملة مستقلة تأكيدًا لهذا الحكم"(١٤٩).

– قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } [الفتح: ٢١]؛ وحين ذكر السياق القرآنى أن هناك مغانم لم يقدروا عليها، لكن الله عزوجل قدرها لهم من حيث لا يعلمون، أكد ذلك بأسلوبية التقديم: (على كل شىء)؛ لإحاطة قدراته بكل شىء.

–وجاء التقديم فى قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الفتح: ٢٤]، توكيدًا لمضمون الكف للفريقين على جهة العموم تحقيقًا لقراءة(١٥٠):

(يعلمون/ تعلمون)، ومضمون الظفر: (من بعد أن أظفركم عليهم) على جهة الخصوص بقراءة: (بما تعملون)؛ ليعلن عن مضمون الكف صورة وهيئة؛ وهذا يؤكد تقديم لفظة: (منهم) على: (معرة) فى قوله تعالى: {فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الفتح: ٢٥]؛ إذ حقق التقديم علة كف المسلمين عن القتال، وهو سوء قالتهم عن المؤمنين أنهم يقاتلون إخوانهم فى قعر بيوتهم، وأن أهل دينهم لم ينجوا منهم. ثم عمم سبب الكف بعمومية الرحمة للفريقين، خاتماً للخطاب بما يؤكد أوله: (لو تفرق هؤلاء المؤمنون –فى مكة– عن أهل الشرك؛ لأخذ المؤمنون المشركين بالعذاب المهين)، وهو ما يحققه: (لعذبنا الذين كفروا منهم)، أى من هؤلاء الكفار المجتمعين مع المسلمين فى مكة، ولا يعرفونهم، توكيداً لقوله تعالى: {فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ} [الفتح: ٢٥]. وقد جعل السكينة سبباً فى الكف، والحمية ذريعةً للصد عن المسجد الحرام، لذا ختم الخطاب بما يؤكد علم الله: { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: ٢٦]؛ لإحاطته بالباطن والظاهر، والسر والعلن؛ ليحتل التوكيد بعلاقاته المتعددة والمتنوعة موقعاً مركزياً فى انسجام النص واتساقه.

-الخـــــــاتمة:

- إن فنية التوكيد بوصفها علاقةً ترابطية تتطلب استراتيجية قرائية تروم بناء المعنى، من أجل تأويل القصد؛ فالتوكيد حاصلٌ في التفكير المنتجِ للغة، وفي انتظام الكلمات وتناسب المعاني، يجليه تعدد مصطلحاته وكثرة مواطنه، وتعالقه بكثير من مباحث البلاغة، وهذا التفرد الذي يكسب الكلام جمالًا وتمكيناً ينعكس على النص من خلال إضفاء سمة جمالية على الأسلوب الذي يتخذ مستويين من التعبير عن الأفكار وتصويرها؛ عملية تصوير لقصدية المتكلم، وعملية التلقى للصورة التى تمّ تبليغها. هذا يفسر أن مفهوم (التوكيد) قد يتجاوز حدود (اللفظة / الجملة)، إلى (النص/ الخطاب)، أو تقابلات نصية صغرى وأخرى سياقية كبرى معتمدة على مفهوم الاتساق.

-العلاقات السيمانطيقية تحتل صورتين؛ الأولى: تصريحية، معقد الربط فيها واضح للقارىء، يظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل. والثانية تضمينية، يتم فيها الارتباط من خلال التجاور، فهو ذو طبيعة دلالية تظهر من خلال علاقات الكلمات والجمل، والصورتان تتحددان بنوع تجانس تعلق الأحداث. ومراعاة أحوال المقام وقرائن الأحوال. بحيث يصير تعالق النص مبعثه مبدأ السبق، والتعاقب.

- تتأسس علاقة التوكيد من جهة على مفهوم الاتساق، أي ترابط البنيات النصية الصغرى مع البنيات السياقية الكبرى في نسق ملائم لأي ملفوظ، ومن جهة أخرى على مفهوم التوكيد وهو مفهوم إجرائي وتنظيمي وتنسيقي، يمنح علامات ودلالات للوصول إلى فهم النص، وهو يتأسس على مستويات إجرائية؛ وهى الآليات التوكيدية المستخدمة التى يتطلبها النص وفقًا لتعديل قوته الإنجازية، ويعتمد على مستويات تنظيمية وتنسيقية فى كيفية التناول محققًا الإنتاجية التوليدية المقصودة.

- تتأسس العلاقة التوكيدية على أرضية ذهنية تتحقق عبر أدوات بلاغية متنوعة تثرى الخطاب بأسره إما عن طريق الربط بين أجزائه أو عن طريق أثره فى إنجاز الفعل الكلامى؛ الإطناب بكافة صوره؛ (التكرار، ومجىء الخاص بعض العام، والتتميم، والتكميل، والتذييل، والاعتراض، والاحتراس)، وفى بعض حالات التقديم والتأخير، وأسلوب القصر. وأغلب مقتضيات الأحوال لخصوصيات المقام، والصفات القائمة بالكلام فى علوم البيان والمعانى والبديع مقتضاها التأكيد. وهذه العلاقة قائمة على استراتيجية تتطلب أدوات الفهم التي تستند إلى معايير وضوابط مقترنة بالتحليل والتعليل، ثم معاودة إجراءات القراءة؛ للانطلاق من عمليات (المرونة، والطلاقة، والأصالة).

- جاء التوكيد فى سورة الفتح لإعلاء مبدأ التماسك الذي ينبني عليه تأليف الجملة أو تأليف المنطوق، حيث يتم فيه مطابقة الكلام لمتطلبات السياق

أو الموقف الكلامي، والعلاقات بين المتكلمين والمخاطبين، وقد توزعت حقوله بين التوكيد بالأداة فى الجملة الخبرية، والجملة الفعلية، والأدوات المشتركة بينهما. وهى حروف إثبات اتصالية تسعى لوجود وحدة ذات دلالة لا تقبل القسمة أو التجزئة.

-اتخذت العلاقة التوكيدية من الإطناب معلماً للاتساق، وإظهاره عبر طرائقه المتنوعة والمتعددة، وقد جاء ذلك ممثلًا فى التكرار بكافة صوره؛ فقد تنوع بين التكرار بالحرف، والاسم، والفعل، والجملة، والتكرار بالمرادف. والتكرار ثمرةٌ من ثمرات قانون الاختيار والتأليف، من حيث توزيع الكلمات على مواقعها وترتيبها ترتيباً ينتج عنه قراءة التعاقب والتكرار، فالقراءة التعاقبية تبنى المفهوم التراكمى، الذى يعنى بالنمو التسلسلى للأحداث وترتيبها. أما القراءة التكرارية، فتعنى أن اللاحق يتولد من السابق ويعود إليه. وقد جاء التكرار فى سورة الفتح محققا التماسك ذهاباً وإياباً، متصفاً بطابع المرونة وفق نظام تركيبي مخصوص يحقق لـــه فَرادة رسالته وأسلوبه الخاص.

-جاء التذييل فى سورة الفتح على ضربين؛ قسم أخرج فيه الكلـــام مخـــرج المثل، وقسم جيء به تحقيقًا لمضمون ما قبله، وكلاهما حمل التوكيد سواء أكان منطوقًا أم مفهوماً؛ ليبنى نصاً لَبِنَاته متعالقة، ووحدات القـــول فيـــه متماسكة. تؤدى تلك الوحدات –بحكم ترابطها الداخلى– دورها ضمن حيز مخصص لها.

- جاء الاعتراض فى مواضع كثيرة فى سورة الفتح؛ محققًا أغراضاً عدة؛ منها التوكيد. والاعتراض– فى سورة الفتح– دينامية متجددةٌ تخلقها الأحداث النغمية المتجاورة، يحيل على المماثل؛ باعتبار كونه اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه، لذا فإن الاعتراض يمثل حركة وتنوعاً، وعندئذ يمكن للاعتراض أن يبلغ دوره البنائي– من وجهة أذن المتلقي–عندما يتوفر تعاقب الأحداث النغمية مشفوعة بمضامينها.

-الاحتراس زيادة إطنابية؛ تأتى لدفع توهم يخالف قصدية المتكلم. ويأتى ذلك فى سورة الفتح؛ لدفع توهم متلق يفهم خلاف المقصود، ويؤكد معنى يتقصده الخطاب القرآنى؛ إضافة إلى أنه منح هذه السورة شيئًا من التمكن والثبات للبناء الذى يقوم عليه، فالاحتراس مشروط وجوديًّا بانضمام وتعالق الأحداث، لنلتقى بضرب من التنظيم عند مستوى بنائى – يدفع وهم متلق- بحيث تولد فيه شعورًا بتحقيق التماثل الداخلي للنص.

- جاء التكميل-فى سورة الفتح- لاستيعاب الأجزاء التى لا توجد الماهية المركبة إلا بها، وقد جاء لتصوير هيئة المخلفين عن رسول الله، وجاء لتصوير الفئة المؤمنة، ووَسَمْهم فى التوارة والإنجيل. والنص القرآني يعمد إلى التصوير، مما يضمن تلاحمه كنص لا تَني العلاقات بين أجزائه تتقوى، فهو نصٌ متلاحمُ البناء يعتمد على زرع مجموعة من العناصر فى صورة معينة، ثم تقع تنميتها وتلاحمها؛ لتعطى صورة متكاملة متنامية.

- جاء التتميم -فى سورة الفتح- لمنع الوقوع فى اللبس، ولتحقيق ما سبق عليه من القول. هذا يعنى أن التتميم يأتى فى مستويين؛ الأول: متعلق بمتقبل الخطاب. والثانى يخص البنية التركيبية؛ حيث تحتل العناصر التى تسهم فى ذلك البناء مواقعها بالانتقال من المستوى السابق إلى المستوى اللاحق، والعلاقة بين المستويين تخلق تعاضدًا يظهر أثره عبر تسلسل التفاعلات؛ لإظهار نص متلاحم البناء.

-حقق أسلوب القصر بطرائقه المتعددة فاعلية التوكيد التى أنتجت تعالق الأحداث أو المكونات التى ينتظم بعضها مع بعض، لتشكل نصًا له وسائل السبك مما يجعله محتفظًا بكينونته واستمراريته. هذا التشكيل الأسلوبى للقصر يقتضى وجود علاقة تؤثر فى حركة الصياغة وفقًا للأداة التى تمّ استخدامها.

- يحقق التقديم والتأخير أقصى درجات التعبيرية والتأثيرية؛ فأثر التقديم فى تأكيد ما سبقه ونماء ما يليه يؤدى إلى تكامل البنية الكلية للنص؛ إذ يتجلى

فى التبادل المستمر الذى ينشأ بين البنية من جهة، والحدث من جهة أخرى. وأهمية هذا البديل الأسلوبى أو العدولى، يكون قائماً على ملاحظة ما للفظة نفسها من روابط تصويرية وسياقية تجعل ترتيبها الإنجازى أسبق من غيرها، لتشكل علاقة بين مدلول هذا وغيره من الألفاظ التى تسبقه أو تليه، حيث يأخذ المعنى فى التكامل ليخلق نصاً يزخر ببناءٍ متكامل متعاضد.

الهـــــــــــوامش:

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٧٨).

(٢) العين (٧/ ٤٢٢).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٤٥).

(٤) محمد خطابى، لسانيات النص(ص:١٤)- سمير استيته، اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)،(ص: ٢٢٥).

(٥) النـــــص والسياق ، (ص: ٧١).

(٦) ينظر: السابق،(ص: ٨٢).

(٧) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، (١/١٤٢).

(٨) مفتاح العلوم (ص: ٢٥٢).

(٩) دلائل الإعجاز (٥٥).

(١٠) السابق:(٢٢٧، ٢٤٣).

(١١) مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط فى تركيـــــب الجملـــة العربيـــة، (ص: ١٤٦).

(١٢)الأصول في النحو (٢/ ١٩).

(١٣) ينظر: اللغة العربية معنـــــاها ومبنـــــاها، (ص:١٨٧ : ١٩٠).

(١٤)المفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٧٢).

(١٥) الأصول في النحو (٢/ ١٩).

(١٦) وأدوات التّأْكِيد: (إِن) و (أَن) الْمَفْتُوحَة على مَذْهَب التنوخي، ولَام الابْتِدَاء، والْقسم، و (أَلا)الاستفتاحية، و(أما) و(هَا) التّنْبِيه، و(كَأَن) و(لَكِن) و(لَيْت) و(لَعَلّ)، وضمير الشّأْن، وضمير الْفَصْل،و(أما) فِي تَأْكِيد الشّرْط، و(قد) و (السّين)، و(سَوف)،والنونات فِي تَأْكِيد الفعلية، و(لَا) التبرئة، و(لن) و(لما) فِي تَأْكِيد النّفْي أدوات القسم، وأسلوب القصر، وحرف الجر الزائد للتوكيد"، "وحرف نصب وتوكيد، والمصدر الْمُؤَكّد"،"والمفعول المطلق المؤكد"،الحال المؤكدة، والاشتغال فى بعض مواطن بلاغته، والتمييز المحول، وتوكيد الجملة الاسمية والفعلية. ينظر: الكليات (ص: ٢٦٩).

(١٧) وهذا واضح فى تساؤل الكنْديُّ لأبي العبّاس: إني لأَجِدُ في كلامِ العَرب حَشْواً: أَجِدُ العربَ يقولون: عبدُ الله قائمٌ، ثم يقولون:إنّ عبدَ الله قائمٌ، ثم يقولونَ: إنّ عبدَ اللهَ لقائمٌ، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعانى مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولُهم: "عبدُ الله قائمٌ"، إخبار عن قيامه وقولهم: "إن عبد عبدَ اللهِ قائمٌ"، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ، وقوله: "إنّ عبدَ اللهِ لقائمٌ"، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ، فقد تَكرَرّت الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني. دلائل الإعجاز (٣١٥).

(١٨) السابق: (٣٢٦).

(١٩) أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، صـ ١١١، ١١٢.

(٢٠) دلائل الإعجاز (٣١٦).

(٢١) السابق: (٣١٩).

(٢٢) نفسه: (٣٢٤).

(٢٣) نفسه: (٢٣٦)، (٣٤٣)

(٢٤)مفتاح العلوم (ص: ١٦٧، ١٦٨). هذا يعنى أن المتكلم يعمد إلى إخراج منطوقه وفقًا لاستراتيجية تزيد فى قوة المنطوق أو تضعفه، ويسرى الإضعاف أو التقوية بوسائل معينة، وعلامات القوة سواء أكانت وسائل معجمية أم هيئات تركيبية، تعد مفاتيح لغوية تقود إلى تعيين القوى والتمييز بين درجاتها، يضاف إلى ذلك الاعتبارات التداولية الأخرى بما فيها من استلزامات حوارية، وأعراف الاستعمال الضمنية.

ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: ٤٦)، وينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:١٤٢).

(٢٥) السابق: (ص: ١٧١، ١٧٢).

(٢٦) الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٤٣).

(٢٧) جون كوين ، بناء لغة الشعر ،(١٨٧: ١٨٨).

(٢٨) سعيد بحيرى، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، (١٢٠، ١٢١).

(٢٩) بلاغة الخطاب وعلم النص، (٢٢٦).

(٣٠) مهدى المخزومى، فى النحو العربى (ص: ٣١).

(٣١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،(ص:٢٤٤).

(٣٢) لم يتوفر النمط الموسع فى سورة الفتح وهو (إنّ+ اسمها+ تعدد الخبر) وإن كانت الأخبار قد تعددت للمبتدأ فى السورة دون اقترانه بها أو بإحدى أخواتها.

(٣٣) إذا قال: فعل فإنّ نفيه لم يفعل. وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لمّا يفعل. وإذا قال: لقد فعل فإنّ نفيه ما فعل. لأنه كأنّه قال: واللّه لقد فعل فقال: والله ما فعل. وإذا قال هو يفعل، أي هو في حال فعل، فإنّ نفيه ما يفعل. وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل. وإذا قال لأفعلنّ فنفيه لا يفعل، كأنه قال: واللّه ليفعلنّ فقلت واللّه لا يفعل. وإذا قال: سوف يفعل فإنّ نفيه لن يفعل. ينظر: الكتاب، باب نفي الفعل (٣/ ١١٧).

(٣٤)ممثلة فى قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا}[١]، وقوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهدا ومبشرا ونذيرا} [٨]، وقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [١٠]، وقوله تعالى: {فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا }[الفتح: ١٣].

(٣٥) مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٩٢).

(٣٦) وتفسيرها وفقًا للجمل التي تدخل عليها. فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب، نحو قولك: لولا زيد لأحسنت إليك. وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا منفية

وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك. ولولا الامتناعية مختصة بالأسماء.

(٣٧) تهذيب اللغة (١٥/ ٢٤٨).

(٣٨)(لَوْلَا) فى الأَصل لا تقع إِلّا على اسم و(لَو) لا تقع إلّا على فعل فإن قدمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مُضْمر. المقتضب (٣/ ٧٦).

(٣٩)ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المرفوع بعد لولا ليس بمبتدأ، بل هو مرفوع بفعل مقدر، فإذا قلت: لولا زيد لأكرمتك، فالمعنى: لو انعدم زيد؛ لأنه إذا زالت(لا) ولي (لو) الفعل ظاهراً، أو مقدراً. وإذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم. فهذا يدل على أن لا نائبة مناب الفعل. وقد اتفق الطائفتان على أن (لولا) مركبة من لو التي هي حرف امتناع لامتناع، ولا النافية. وكل واحدة منهما باقية على بابها، من المعنى الموضوعة له قبل التركيب. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٥٩٧).

(٤٠) هذه النونُ تلحق الفعل غير الماضي إذا كان واجباً للتأكيد فيبنى معها، وهي تجيءُ على ضربين: فموضع لا بد منها فيه، وموضع يصلح أن تخلو منه؛ فأمّا الموضع الأول فإذا كانت مع القسم. مثل: والله لأفْعلَنّ، وأقسم لأفعلنّ، وأما الموضع الثانى، فإذا أقسمت على ماضٍ دخلت اللام وحدها بغير نون نحو قولك: والله لقد قام ولقامَ. ومن مواضعها الأفعال غير الواجبة التي تكون بعد حروف الاستفهام، ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل ما للتوكيد . ينظر: الكتاب (٣/ ٥٠٩). الأصول في النحو (٢/ ١٩٩).

(٤١) المقتضب (٢/ ٣٣٣).

(٤٢) جامع البيان (٢٢/ ٢٥٨).

(٤٣) العين (٨/ ٣٥٠).

(٤٤) المقتضب (١/ ٤٧).

(٤٥) الكتاب (٣/ ٧).

(٤٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٣١).

(٤٧) أرقام الآيات:[١٢، ١٥، ٢٣].

(٤٨) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٣/ ٤٠٧).

(٤٩) العين (٥/ ١٦).
(٥٠) المقتضب (١/ ٤٣).
(٥١) الكتاب (٤/ ٢٢٤).
(٥٢) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٥٥).
(٥٣) الآيات: [١٨، ٢١، ٢٣، ٢٧].
(٥٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ١٨٤).
(٥٥) المقتضب (١/ ٤٧).
(٥٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٦).
(٥٧) السابق (١/ ١٩٨).
(٥٨) الآيات: [١٠، ١١، وفى موضعين فى الآية:(١٥)، ١٦].
(٥٩)الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٧٨). والبعض أنها أربعة أقسام على خلاف فى ذلك؛ (لو الامتناعية، الشرطية، المصدرية، للتمنى).
(٦٠) ينظر: شرح تسهيل الفوائد(١/٢٢٨). شرح الكافية الشافية (٣/ ١٦٣١).
(٦١) الكتاب (٤/ ٢٢٤)
(٦٢) لا يكون جواب (لو) إلا فعلاً ماضياً، مثبتاً، أو منفياً بـ(ما(أو مضارعاً مجزوماً بـ (لم). والأكثر فى الماضي المثبت اقترانه باللام. وقد يحذف كقوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا } [الواقعة: ٧٠] ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٧٥: ٢٨٣).
(٦٣) الآيتان:[٢٢، ٢٥].
(٦٤) الجمل في النحو (ص: ٢٦٩).
(٦٥) عند البصريين بإضمار:(أن). وعند الكوفيين اللام نفسها ناصبة للفعل. ينظر: اللامات (ص: ٦٦).
(٦٦) وهذه اللام عند البصريين هي الخافضة للأسماء فتكون: (أن +الفعل) بتقدير مصدر مخفوض باللام، كقولك: (جئتك لتحسن إلي)؛ أي للإحسان. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (٢/ ٤٦٩).
(٦٧) الآيات: [٢، ٤، ٥، ١٥، ٢٠، ٢٥، ٢٨، ٢٩]

(٦٨) قوله تعالى: {وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} [الفتح: ٢، ٣]، وقوله تعالى: {وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}[الفتح:٥]، وقوله تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ } [الفتح:٦]، وقوله تعالى: {وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح:٢٠].

(٦٩) نحو قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [المؤمنون: ٧٠].

(٧٠)نحو قوله تعالى: {وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا} [المؤمنون: ٦٢، ٦٣].

(٧١) وما جاء فى القرآن من كلام الله تَعَالَى (بل) مستعملة فيه بعد إيجاب، فهو على تقدير خبر واجب، لأن الله تعالى لا يجوز عليه الغلط والنسيان. ينظر: علل النحو (ص: ٣٧٩).

(٧٢) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٣٥).

(٧٣) الآيات: (١١، ١٢، وفى موضعين فى الآية: ١٥).

(٧٤) المفصل في صنعة الإعراب (ص: ٤٣٥).

(٧٥) ينظر: الكتاب (٣/ ١١٧).

(٧٦) قد جاءت غير مكررة، في قوله تعالى:{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ }[البلد: ١١]، وقد نص الزمخشرى على ذلك قائلًا: فإن قلت: قلما تقع:"لا" الداخلة على الماضى إلا مكررة، لِمَ لم تكرر في الكلام الأفصح؟ كان الجواب: هى متكررة فى المعنى؛ لأن المعنى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكينا. ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٥٦).

(٧٧) يأتى بعدها المبتدأ، نحو: لا زيد في الدار ولا عمر، والخبر المقدم، نحو: {لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات: ٤٧]. وكذلك يجب تكرارها إذا وليها خبر، نحو: زيد لا قائم ولا قاعد، أو نعت، نحو: {زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ } [النور: ٣٥]، أو حال، نحو: جاء زيد لا باكياً ولا ضاحكاً. وربما أفردت في الشعر. ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٩٩).

(٧٨) فى الآية (١٥)، وفى موضعين فى الآية[١٧]، وفى موضعين فى الآية [٢٢]، وفـــى الآية: (٢٧).

(٧٩)البيـــــان فى روائع القرآن، (١/ ١٥٣).

(٨٠) الأصول في النحـــو (٣/ ٤٦٦). الجنـــى الـــداني فـــي حـــروف المعـــاني (ص: ٣٩٦:٣٩٩).

(٨١)جدلية الإفراد والتركيـــــب، ص(١٧٩).

(٨٢) وقد تناولتها الدراسة بالتفصيل فى أسلوب القصر.

(٨٣) أما إذا جاءت زائدة فإنّها لا تفيد معنى آخر غير التوكيد، وتأتى بعد (لما). مثل قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا } [يوسف: ٩٦]. ولا تعمل أن الزائدة شيئاً، وفائدة زيادتها التوكيد. الجنى الداني في حـــروف المعـــاني (ص: ٢٢٢).

(٨٤)وهى على أربعة أنواع، المصدرية، والمفسرة، والزائدة المؤكدة التى تـــأتى غالبـــا مقترنة بـــ (لما وحتى). والمخففة من الثقيلة. ينظر: ابن جني: اللمع فـــي العربيـــة (ص: ١٩٤).

(٨٥) الآيات: [١٥، ٢٤، فى موضعين فى الآية: ٢٥] . <u>وقد جاءت حرفًا مصدريًا في تلك المواضع.</u>

(٨٦) الفرق بينهما، أَنّ الأولى لَا تقع ثَابِتَة إِنّما تقع مَطْلُوبَة أَو متوقّعة، نَحْـــو: أَرجـــو أَنْ تذهبَ وأَخاف أَنْ تقومَ، فإذا وَقعت مخفّفة من الثّقيلَة وَقعت ثَابِتَة على معنى الثّقِيلَـــة، نَحْو: أَعلم أَنْ ستقومُ ،على معنى قَوْلك: أَنّك ستقوم . ولَا يصلح: أَرجو أَنّك ستقوم؛ لأَنّه لم يسْتَقرّ عِنْده؛ لأَنّ الثّقِيلَة إِنّما تدخل على مبتدأ مستقرّ. وإِذا كَانَ بعْدهَا الْفِعْـــل أحد أَرْبَعَة أَشْيَاء: (السِّين، وَالْآخر: سَوف، وَالثّالِث: قـــد، وَالرّابِـــع: لَـــا). ينظـــر: المقتضب (١/ ٤٩).

(٨٧) قوله تعالى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطـــارق: ٤] ينظـــر: المقتضـــب (١/ ٤٩)- الأصول في النحو(١/ ٢٣٦) اللامات (ص: ١٥٠).

(٨٨) الآيات:[١١، ٢٧، وفى موضعين فى الآية: ١٦]. وقد تكون الصيغة للاستثناء فـى الآية(٢٧)، وليس المعنى عليه، وإنما المعنى تسبيحٌ وإخبار أن كل ما يكـون فهـو بمشيئة الله. ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٦٥٢).

(٨٩) البيان فى روائع القرآن (١٥٢/١).

(٩٠) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ١٨٥).

(٩١) وقد تكون– فى هذه الآية– مفعولًا به بفعل مضمر، أي: (اذكر إذ جعـل). ينظـر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٦٥١).

(٩٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٢٧٧).

(٩٣) الأصول في النحو(٢/ ١٩) –المفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٤٥).

(٩٤) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني (ص: ٣١٢). وفى رواية:"لا يجتمـع دينان في جزيرة العرب". ينظر: مسند أحمد (٤٣/ ٣٧٢)

(٩٥) شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٣٠٤). –الأصول في النحو (٢/ ٢٠)

(٩٦) أرقام الآيات:[فى موضعين فى الآية[١]، ١٨، ٢٧].

(٩٧) الراجح عند المفسرين: ينظر: الكشاف عن حقائق غـوامض التنزيـل (٤/ ٣٣١)، مفاتيح الغيب (٢٨/ ٦٥) –البحر المحيط (٩/ ٤٨٢).

(٩٨) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٤٦).

(٩٩) أرقام الآيات:(٤، ١١، ١٢، ١٨، ٢٦).

(١٠٠) صحيح البخاري (١/ ٢٠).

(١٠١) الآيات: [١١، ١٥، ١٦] .

(١٠٢) وهم قبائل: جهينة ومزينة وغفار وأشجع والديل وأسلم، استنفرهم رسـول اللـه صلّى الله عليه وسلّم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً؛ ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت. وأحرم هو صلّى الله عليه وسلّم وساق معه الهدي؛ ليعلم أنه لا يريد حرباً. ورأى أولئك الأعراب أنه عليه الصلاة والسلام يستقبل عدداً عظيماً من قريش. وثقيف وكنانة. والقبائل المجـاورين مكة وهم الأحابيش، ولم يكن الإيمان تمكن من قلوبهم، فقعدوا عن النبـي وتخلفـوا وقالوا: نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصـحابه فنقـاتلهم.

وقالوا: لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٣٦).-روح المعاني (١٣/ ٢٥٢).

(١٠٣) أرقام الآيات: [الفتح:٤ ، فى موضعين فى الآية ٥، ١٢، ١٨، ٢٠، فى موضعين فى الآية: ٢٥، ٢٦].

(١٠٤) أرقام الآيات: جاء فى موضعين بلفظة: (رسول) فى الآية: ١٢، ٢٩] وفى ستة بلفظة: (رسوله) فى الآيات: (٩، ١٣، ١٧، ٢٦، ٢٧، ٢٨).

(١٠٥) أرقام الآيات: [٥، ١٠، ٢٩].

(١٠٦) والآيات كالآتى: فى الآية: (٢، ٣، و[فى موضعين فى الآية ٤]، وفى الآية:٥، و[فى موضعين فى الآية ٦]، و[فى موضعين فى الآية ٧]، وفى الآية:(٩)، وفى ثلاثة مواضع فى الآية ١٠]، [فى موضعين فى الآية ١١]، وفى الآية: ١٣، و[فى موضعين فى الآية ١٤]، و[فى موضعين فى الآية ١٥]، وهو فى الآيات: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، و[فى موضعين فى الآية ٢١]، و [فى موضعين فى الآية٢٣]، وفى الآية: ٢٤، ٢٥، و[فى موضعين فى الآية ٢٦]، و[فى موضعين فى الآية ٢٧]، وفى الآية: ٢٨، وفى ثلاثة مواضع فى الآية ٢٩]).

(١٠٧) أرقام الآيات:[٨، ١٢، ٢٢].

(١٠٨)كالآتى:{إِنَّا،فَتَحْنَا}[الفتح١]،{وَيُتِمَّ،نِعْمَتَهُ،وَيَهْدِيَكَ}[الفتح:٢]،{هُوَ،أَنْزَلَ}[الفتح٤]،{لِيُدْخِلَ، وَيُكَفِّرَ}[الفتح:٥]،{وَيُعَذِّبَ،وَلَعَنَهُمْ،وَأَعَدَّ}[الفتح:٦]،{ إِنَّا، أَرْسَلْنَاكَ}[الفتح:٨]،{ وَرَسُولِهِ،وَتُعَزِّرُوهُ، وَتُوَقِّرُوهُ، وَتُسَبِّحُوهُ}[الفتح:٩]،{فَسَيُؤْتِيهِ}[الفتح:١٠]،{ إِنْ أَرَادَ ، أَرَادَ}[الفتح:١١]،{ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا،أَعْتَدْنَا}[الفتح:١٣]،{ يَغْفِرُ، يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ، يَشَاءُ}[الفتح:١٤]،{ يُعَذِّبْكُمْ}[الفتح:١٦]،{ وَرَسُولَهُ ،يُدْخِلْهُ، يُعَذِّبْهُ}[الفتح:١٧}، { فَعَلِمَ ، فَأَنْزَلَ ، وَأَثَابَهُمْ}[الفتح:١٨]،{ فَعَجَّلَ ، وَكَفَّ ، وَيَهْدِيَكُمْ}[الفتح:٢٠]،{ وَهُوَ، كَفَّ، أَظْفَرَكُمْ}[الفتح:٢٤]،{ رَحْمَتِهِ، يَشَاءُ ، لَعَذَّبْنَا}[الفتح:٢٥]،{ فَأَنْزَلَ،سَكِينَتَهُ، رَسُولِهِ،وَأَلْزَمَهُمْ}[الفتح:٢٦]،{ رَسُولَهُ ،فَعَلِمَ ، فَجَعَلَ }[الفتح:٢٧]،{ هُوَ ،أَرْسَلَ، رَسُولَهُ،لِيُظْهِرَهُ}[الفتح:٢٨]

(١٠٩) الآيتان: [٢، ١٤].

(١١٠) الآيات:[٦، ١٤، فى موضعين فى الآيات:(١٦،: ١٧، ٢٥).

(١١١) فى موضعين فى الآية:[١٠]، وفى الآية : ١٨).
(١١٢) الآيتان:[٢٠، ٢٩].
(١١٣) فى آيتين:[٥، ١٧].
(١١٤) فى آيتين: [٤، ١٨].
(١١٥) فى آيتين:[٤، ٧].
(١١٦) فى آيتين: [٧، ١٩].
(١١٧) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٩٧).
(١١٨) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٣٨٧).
(١١٩) خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٢٤٢).
(١٢٠) البديع في البديع (ص: ١٥٤).
(١٢١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٣/ ٤١).
(١٢٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٤١)
(١٢٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٧٩).
(١٢٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٤٥).
(١٢٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٢٤٥).
(١٢٦) من البلاغيين من أطلق الاحتراس على التكميل. وقد خلط البعض بينهما، فالتتميم عندهم يرد على المعنى الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله؛ إذ الكمال أمرٌ زائد على التمام. ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص:٢٤٥، ٣٥٧)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٦١٣)- الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢٠٨).
(١٢٧) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٦١٤).
(١٢٨) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢٠٨).
(١٢٩) البديع في نقد الشعر (ص: ٥٣)
(١٣٠) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ١٢٧).
(١٣١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٧٠).
(١٣٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٥٧).

(١٣٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٤٩).

(١٣٤) مسند أحمد (٢٣/ ٩٣).

(١٣٥) صحيح البخاري (٦/ ١٣٦)- صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٣).

(١٣٦) الفراء، معاني القرآن (٣/ ١١٨).

(١٣٧) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٣٠).

(١٣٨) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٨٥).

(١٣٩) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٤٩٤).

(١٤٠) الفروق اللغوية (ص: ٢١٠).

(١٤١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٤٥).

(١٤٢) لا يستخدم البحث فاعلية التحويل هنا؛ إذ جعل لها مطلبًا مستقلًا. وقد جاء القصر في التحويل- على سبيل المثال- فى قوله تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}[الفتح:٢٤].

(١٤٣) تهذيب اللغة (٨/ ٢٧٩).

(١٤٤) مفتاح العلوم (ص: ٢٨٨).

(١٤٥) السابق (ص: ١٩٦).

(١٤٦) نفسه (ص: ١٧٦).

(١٤٧) الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٥).

(١٤٨) يتجه البحث إلى مواضع التحويل التى اقتضت فاعلية التوكيد فحسب.

(١٤٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨/ ٣١٣).

(١٥٠) قَرَأَ أَبُو عَمْرو وَحده {بِمَا يعْملُونَ} بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ السبعة في القراءات (ص: ٦٠٤)

المصادرو المراجع:

- ابن الأثير، ضياءالدين نصر الله بن محمد(ت: ٦٣٧هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة ــ القاهرة، ط١، ١٩٥٩م.

- الأزهري، محمد بن أحمد بن االهروي(ت:٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ٢٠٠١م.
- استيته، سمير: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج): عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م.
- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد(ت: ٦٥٤هـ): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المحقق: حفني محمد شرف، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٥م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله(ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،المحقق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥ هـ.
- بحيرى، سعيد حسن: دراسات فى علم اللغة: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(ت:٢٥٦هـ): صحيح البخاري=(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة١٤٢٢هـ.
- أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش/ محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط٢، ١٩٩٨م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن(ت ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،١٩٨٤م.
- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر(٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، المحقق: محمد رضوان الداية/ محمد فايز الداية، دار قتيبة، ١٩٨٣م.
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ):

* الخصائص، المحقق: محمد على النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
* اللمع في العربية، المحقق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، ١٩٧٢م.
– ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي(ت: ٨٣٧هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب، المحقق:عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ٢٠٠٤م.
– حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب،ط٥ـ–٢٠٠٦م.
– حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م.
– ابن حنبل، أحمد الشيباني(ت: ٢٤١هـ): مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط/عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة،٢٠٠١ م.
– أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف الغرناطى(ت ٧٤٥ هـ): البحر المحيط، مراجعة: صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
– خطابى، محمد: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافى العربى، بيروت، ١٩٩١م.
– الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ):
* الجمل في النحو،المحقق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥م.
* العين، المحقق: مهدي المخزومي/ إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
– الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين(ت:٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب ،دار إحياء التراث العربي – بيروت– ١٤٢٠ هـ.

-الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين (ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان الداودي، دار القلم،دمشق بيروت٤١٢ هـ.
- ابن رشيق القيرواني، أبو على الحسن الأزدي(ت/ ٤٦٣ هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط٥، ١٩٨١ م.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين بن بهادر(ت: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن،المحقق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية١٩٥٧م.
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: ٥٣٨هـ):
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت-٤٠٧ هـ.
* المفصل في صنعة الإعراب، المحقق: د. علي بو ملحم،مكتبة الهلال – بيروت١٩٩٣م.
- السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي(ت: ٧٧٣ هـ): عروس الأفراح، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت٢٠٠٣ م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل(ت: ٣١٦هـ): الأصول في النحو، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- السكاكى، أبويعقوب يوسف بن أبى بكر(ت٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، المحقق: عبدالحميد هنداوى، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: ١٨٠هـ): الكتاب، المحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة١٩٨٨ م.
- الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠١م.

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد(ت: ٢٣٥هـ): مسند ابن أبي شيبة، المحقق: عادل العزازي/ أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٧م.
- ابن الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان(ت: ١٢٠٦هـ): حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان-١٩٩٧م.
- الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر(ت: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر تونس١٩٨٤ هـ.
- العبد، محمد السيد سليمان: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، فصول، ع: ٦٥، القاهرة ٢٠٠٥م.
- عبد الله المالكي، بدر الدين حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ):
* توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المحقق: عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي- ٢٠٠٨م.
*الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: فخر الدين قباوة ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ١٩٩٢ م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت: ٣٩٥هـ):
* الصناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.
* الفروق اللغوية، المحقق: محمد إبراهيم سليم،، دار العلم والثقافة، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- العلويّ، يحيى بن حمزة بن علي (ت: ٧٤٥هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية- بيروت،ط١، ١٤٢٣ هـ.

- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب-٢٠٠٨ م.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، المحقق:عبد السلام هارون، دار الفكر- ١٩٧٩م.
- الفراء: أبوزكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ): معانى القرآن، المحقق: محمد يوسف نجاتى ومحمد النجار،دار السرور،بيروت، ١٩٩٥م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن(ت: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ١٩٩١م.
- كمال الدين الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت: ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين المكتبة العصرية- ٢٠٠٣م.
- مالك، مالك بن أنس بن عامر المدني (ت: ١٧٩هـ): موطأ مالك، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان ،أبو ظبي، الإمارات،ط١، ٢٠٠٤ م.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجياني (ت: ٦٧٢هـ):
* شرح تسهيل الفوائد، المحقق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة - ١٩٩٠م.
*شرح الكافية الشافية، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمى- ١٩٨٢ م.
- المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ): المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة،وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة- ١٩٩٤م.
- المخزومي، مهدي: فى النحو العربى، منشورات دار الرائد العرب، بيروت. ١٩٨٦ م.

- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم=(صحيح مسلم)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ابن منقذ، مجد الدين أسامة بن مرشد(ت:٥٨٤ه): البديع في نقد الشعر، المحقق: أحمد بدوي/ حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد(ت: ٧٦١ه): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: مازن المبارك/محمد علي حمد الله، دار الفكر– دمشق، ١٩٨٥.
-الهمذاني، المنتجب (ت: ٦٤٣ هـ): الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المحقق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية- ٢٠٠٦ م.
- ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس(ت:٣٨١ه): علل النحو، المحقق: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد- الرياض-السعودية ١٩٩٩م.

المراجع المترجمة:

- أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- جون كوين: بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- فان دايك: النص والسياق" استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى"، ترجمة: عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.